19me: année No 870

Le Caire - 6 — 8 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٤١ - عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٦ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

بين المهد واللحد

الكلمة التي ألقيت فى تأبين الأستاذ على محمود طه بالمنصورة

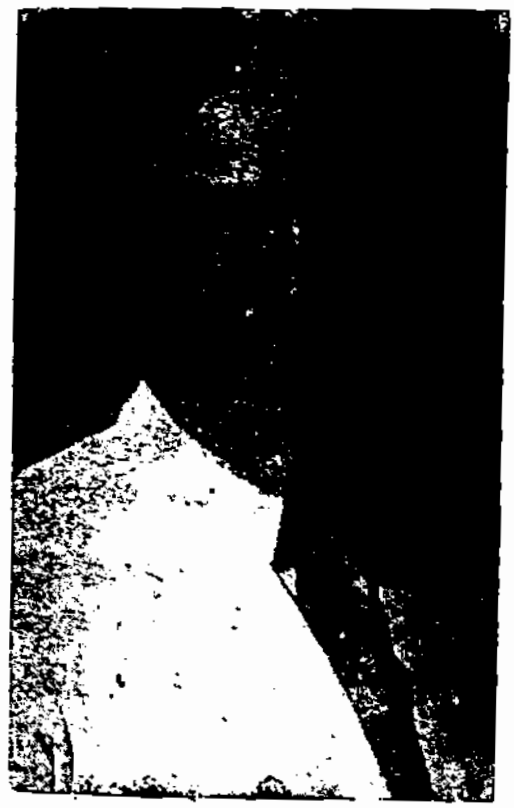

سادتى أقرباء على طه ، وأصدقاء على طه :

نحن هنا فى البلد الذى خرج فيه إلى نور الوجود . ونحن هنا فى البلد الذى رجع فيه إلى ظلام العدم !

نحن هنا فى البلد الذى قدم إليه المهد مزيناً بأوراد الربيع ، مشرقا ببسمات الحب ، محفوفا بنظرات الأمل ؛ ونحن هنا فى البلد الذى أعد له اللحد مكللا بأزهار الخريف ، مبللا بعبرات الأسى ، مودعاً بحسرات الذكرى !

نحن هنا فى البلد الذى نشأ عليا على حب الجمال ، وهيأ عليا لرسالة الشعر ، ووجه عليا إلى طريق المجد . ونحن هنا فى البلد الذى ختم فيه على القلب الشاعر ، وضرب فيه على السمع الواعى ، وحكم فيه على اللسان البليغ !

من هذا الشاطىء شاطىء المنصورة ركب الملاح زورقه الهائم ، ثم مخر به العباب فى خضم الحياة . تارة يختفى ، وتارة يظهر . فاذا اختفى غاب مع (الأشباح والأرواح) فى جزر الأرخبيل أو على جبل الأولمب ؛ وإذا ظهر شوهد على سواحل كابوبطرة يردد الأوعة والأنين ، أو على جندول البندقية يرجع الشوق والحنين ، أو فى بحيرة كومو بمجد الحب والجمال فى صور الناس ومجالى الطبيعة .

وكذلك كان فى كل بحر يجرى فيه ، وفى كل ساحل يدنو منه : يرسل الأنغام العذبة من قيثاره المرح ، ويبدع الصور الجميلة بريشته الفنانة ، وينفح الصدور المكروبة بنسماته الشعرية السحرية التى تسرى هموم النفس وتهون متاعب الحياة .

ثم غام الأفق فى وجه الملاح ، وثارت الأعاصير على جوانب الزورق ، فكلت الذراع وسكن الجناح وتمزق الشراع . وفى يوم من الأيام السود ألقى فى ساحل المنصورة حطام الزورق وجثة الملاح !

وفى حفرة ضيقة من المقبرة المهومة ثوى القلب الكبير ، وذوى الأمل النضر، وهمد الجناح المحلق !

فى هذا البلد الوفى الحبيب عرفت على طه وأحببته،عرفته منذ تسعة وعشرين عاماً وأحببته منذ عرفته . كان لقاؤنا الأول على هذه الضفاف الخضر فى أصيل يوم من أيام أغسطس من السنة الحادية والعشرين من هذا القرن . وكان على لا يزال طالباً بمدرسة الفنون والصناعات، يكابد ألم التناقض بين ما وجّه إليه بالفطرة، وما حُمل عليه بالاكتساب ؛ بين النوازع الأدبية التى يجدها فى نفسه والمسائل العلمية التى يتلقاها فى درسه ؛ بين الناس الذين يتخيلهم فى الذهن ، والناس الذين يتمثلهم فى الخارج ؛ بين مطالب الجسد التى تربطه بالأرض ، ونوازى الروح التى تجذبه إلى السماء .

كان يقضى طرفى نهاره فى قهوة ماتيو بشارع البحر ينظر فى كتاب مرة ، ويكتب فى ورقة مرة؛ ثم يذهل عن الكتاب والورقة ويرسل بصره إلى الأفق البعيد، ثم يرده إلى نفسه وينطوى عليها انطواء الفيلسوف المفكر أو الشاعر الحالم . فإذا جلس إليه أحد ثقاته أخذ ينفس عن صدره المكظوم بالحديث عمن يحب أو بالشعر فيمن يحب . وحبه يومئذ كان حب الفنان الخيالى يجعله بالتنزيه والحرمان منبعاً للألم ومبعثاً للشكوى ليرهف به شعوره ويُغذى عليه شعره .

قلت له ذات يوم : مابالك يا على وأنت فى زهرة العمر ونضرة الصبى حزين الشعر ضائقاً بالناس والحياة ؟ فهل تشكو من مرض ؟ فقال على،وما زلت أذكر ما قال : إنما أشكو مرض الاغتراب . يخيل إلى أنى من قوم آخرين ومن بلد آخر ، فأنا لا أزال أشتاق إلى القريب المجهول،وأحن إلى الوطن النازح . ويشتد بى النزوع أحياناً فأتمنى لو أطير . وأتوهم حين يخفق قلبى أنه طائر يريد أن ينهض ، وأن ضلوعى من حوله قفص يأبى أن ينفرج

ثم انقضى ذلك العهد وانقضت معه تلك الحال الغريبة. ودخل على فى زحمة الحياة وغمار المجتمع فأزهر الوجه الشاحب ، وانبسط المحيا الكئيب ، وابتسم الشعر الحزين ؛ وتشعبت فى نفسه أصول الجمال والحب ، فامتد فى نظره الجمال إلى العمل والخلق والسلوك ، واتسع فى قلبه الحب للخير والأخاء والمروءة . ولذلك عاش ما عاش فى سلام من نفسه، وعلى وئام مع الناس

وتأكدت بينى وبين على أسباب المودة فعرفته فى جميع حالاته ، وخبرته فى أكثر ملابساته،فلم أره يوماً قبض يده عن معروف ، ولا بسط لسانه بأذى ، ولا طوى صدره على ضغينة .

كانت لذته فى أن يفعل الخير لأنه إنسان بفطرته ، وكانت متعته فى أن يقول الشعر لأنه فنان بطبعه . وفيما عدا فعل الخير وقول الشعر كانت حياته أشبه بحياة الطائر الغرد فى سماء الربيع الطلق: انتقال من غزل إلى شدو ، وارتحال من جو إلى جو !

كان على طه أكرم الله مثواه طاغى الشخصية ولكنه طغيان الروح ؛ مستبداً بالحديث ولكنه استبداد النبوغ يجلس الجالس إليه ويطيل الجلوس ويكرره،ولكنه فى كل جلسة يجدد نفسه فى حضرة رجل ممتاز.وامتيازه كان من طلاوة حديثه وشجاعة رأيه وصراحة قوله وعفة لسانه وحرية ضميره وخلوص قلبه . كان فى صرامة الرجل ووداعة الطفل،فلا يسع من يلقاه إلا أن يجله ، ولا يملك من يعرفه إلا أن يحبه .

وكان شعره صورة لشخصه ومرآة لنفسه . تقرأه فكأنما تقرأ فى قلب مفتوح ، وتنظر فيه فكأنما تنظر فى أفق منير . أجل ما فيه الصدق ، وأقوى ما فيه الجمال ، وأعظم ما فيه الحب . والصدق والجمال والحب هى عناصر الرسالة الفنية التى أداها على طه.

كان شعره صافى الأسلوب لأنه صافى القلب ، متسق الألفاظ لأنه متسق الخلق ، مشرق المعنى لأنه مشرق النفس . وإن من المصائب التى يرفض لها الصبر ويضيق بها العزاء أن نستعمل (كان) فى الحديث عن على طه ! إنه باق ما بقيت العربية، مذكور ما ذكرت العروبة ، خالد ما خلد القرآن .

ولست اليوم بسبيل الكشف عن عبقريته فى فن الشعر ولا عن مكانته فى تاريخ الأدب ، إنما هى عبرات مما بقى فى المآقى جئت أسكبها على ثراه ، وزهرات من الروض الذى كان يحبه جئت أنثرها على قبره !

رحم الله الفقيد العزيز أوسع الرحمة ، وعزى عنه الأمة العربية أجل العزاء ،وعوض الأدب الرفيع من فقده خير العوض .

أحمد حسن الزيات

علي محمـــود طه

حياته وشعره

للأستاذ أنور المعداوي

— ١٢ —

كانت بيئة ضنت عليه بما يشتهي ، وحرمته أكثر ما يطلب ، وقيدت قدميه فما يستطيع أن يندفع ، وطوت جناحيه فما يستطيع أن يطير ... ولم يكن واحـداً من هؤلاء الذين يرضون بالقيود ويخضعون للأصفاد ، ولئن رضي بالأولى وخضع للثانية في تلك الفترة التي يتغزى فيهـا شباب الروح والجسد ، فلأنه كان نتاج مجتمعه ووليد بيئته . ومن هنا اشتبكت روحه وتعذب جسده وضجت بخيبة الرجاء أمانيه !

اشتبكت روحه من وطأة القيد وسطوة السجان ، وتعذب جسده من قوة الغريزة وغلبة الحرمان ، وضجت أمانيه وهو يتطلع إلى الأفق البعيد وبين جنبيه رهبة المشفق من مستقبل مجهول ... وانعكس هذا كله على فنه : أنات متصلة ينقلها إليك شعر تكاد تشم فيه رائحة الدموع ؛ شعر مظلم إن عثرت فيه على البسمة المشرقة فهي اللمعة البرق الخاطف في سماء داكنة ، تظلل حواشيها ألوان من السحاب والضباب ! واستمع إلى هذه الشكاة الأولى في الصفحة الثالثة والثلاثين من « الملاح التائه » ، من قصيدة عنوانها « غرفة الشاعر » :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل وما زلت غارقاً في شجونك
مسلماً رأسك الحزين إلى الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى في ارتماش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر أنفاسك يطغى على ضعيف أنينك
أنت تصغي لقاصف الرعد في الليل ولا يزدهيك في الإبراق
قد تمشى خلال غرفتك الصمت ودب السكون في الأعماق
غير هذا السراج في ضوئه الشاحب يهفو إليك من إشفاق
وبقايا النيران في الموقـد الذابل تبكي الحياة في الأرماق
أنت أذبلت بالأسى قلبك الفض وحطمت من رقيق كيانك
آه يا شاعري لقد نصل الليـل وما زلت سادراً في مكانك
ليس يجدو الدجى عليك ولا يأسى لتلك الدموع في أجفانك
ما وراء السهاد في ليلك الداجي وهلا فرغت من أحزانك ؟
فقم الآن من مكانك واغنم في الكرى غفلة الخلي الطروب
والتمس في الفراش دفئاً ينسيك نهار الأسى وليل الخطوب
ليست تجزى من الحياة بما حملت فيها من الضنى والشحوب
إنها للمجون والخمر والزيف وليست للشاعر الموهوب !

لقد حدثناك عن المزاج الكئيب في شبابه الباكر وها هو بين يديك في البيت الأول ، وحدثناك عن الطبع الحزين في حياته الأولى وها هو يطل عليك من البيت الثاني . وزد على ذلك الجفون الملتهبة من السهد ، والأصابع المرتعشة فوق الجبين ، والفم الناضب من وحيق الحب ، والشعور الطافح بمرارة الأنين ! وأي شباب هذا الذي يشغل عن الرعود حين تقصف وعن البروق حين تسطع ، بتلك الغرفة الصامتة وهذا السكون العميق ، يرقب بروحه القانية ضوء المصباح الشاحب شحوب الأمل ، وبقايا النيران في الموقد الذابل ذبول الحياة ؟! يمر عليه النهار فيعصف بقلبه الغض وكيانه الرقيق عصف الرياح العاتية بالنبتة الواهية ، وينقضي عليه الليل وهو حائر في مكانه من الغرفة الصامتة لا يطمئن ، ولا شيء في عينيه غير الدموع ، ولا شيء في فكره غير السؤال عما وراء السهاد ... ولا جواب !

وأي شباب هذا الذي يفزع من وحشة اليقظة إلى أحضان الكرى ينشد الأنس الأنيس في ظلال الأحلام ، ويلتمس في الفراش شيئاً من الدفء ينسيه برد الأسى وتجهم الأيام ؟! هو ذلك الشباب الذي خلق للضنى والشحوب ، وخلق لهذا المزاج الرومانسي الضارب في مجاهل النيوب ! ... ومرة أخرى تعال نستمع إليه وهو ينثر بين أيدينا خفقات قلبه ، في هذه الأبيات التي نقتطفها من قصيدة عنوانها « قلبي » ، في الصفحة الحادية والخمسين من « الملاح التائه » :

يا قلب : مثـل النجم في قلق والنـاس حولك لا يحسونا
لولا اختلاف النور والغسق صرنا بأفقك لا يطـلعونا
فاصفح إذا غمطوك إدراكا واذكر قصور الآدميينا

أتريدهم يا قلب أملاكا ... كلا . . وما هم بالنبيينا !
هم عالم فى غيبه يمضى ... مستغرقا فى الحمأة الدنيا
نزلوا قرارة هذه الأرض ... وحلقت أنت القمة العليا
عباد أوهام وما عبدوا ... إلا حقيراً منى وغايات
ومناك ليس يحدها الأبد ... دنيا وراء اللانهايات !
يا قلب كم من رائع الحلك ... ألقاك فى بحر من الرعب
كم عدت منه بقبة الفلك ... وصرخت وحدك فيه يا قلبى
ومضيت تضرب فى غياهبه ... ورد عنك الماجُ الصخبا
تترقب البرق الطيف به ... وتسائل الأنواء والسحبا
وخفقت تحت دجاه من وجل ... كالطير تحت الخنجر الصلت
وعرفت بين اليأس والأمل ... صحو الحياة وسكرة الموت
يا قلب عندك أى أسرار ... ما زلن فى نشر وفى طى
يا ثورة مشبوبة النار ... أقلقت جسم الكائن الحى
حملته العبء الذى فرقت ... منه الجبال وأشفقت رهبا
وأثرت منه الروح فانطلقت ... تحسو الجحيم وتأكل اللهبا
وعجبت منك ومن إبائك فى ... أمر الجمال وبقية الحب
وتلفت المتكبر الصلف ... عن ذلة المقهور فى الحرب
يا حر كيف قبلت شرعته ... وقنعت منه بزاد مأسور ؟
آثرت فى الأعلال طلعته ... وأبيت منه فكاك مهجور !
وصحوت من وهم ومن خبل ... فإذا جراحك كامن دم
لجت عليك مرارة الفشل ... ومشى يحز وتينك الألم
والأرض ضاق فضاؤها الرحب ... وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب ... وبقيت وحدك أنت والزمن !
وصرخت حين أجنك الليل ... متمرداً تجتاحك النار
وبدا صراعك أنت والعقل ... ولأنتما بحر وإعصار !
ما بين سلمكما وحربكما ... كون يبين ويختفى كون
وبقيتما الدنيا وحسبكما ... دنيا يقيم بناءها الفن !

أنظر ، هنا زفرة تأخذ مكانها فى الطليعة من هذه الزفرات ، زفرة مصدرها أن الناس لا يحفلون به وهو الشاعر الموهوب . والإشارة إلى حقه المهضوم تطالعك فى البيت الأخير من « غرفة الشاعر » فى لمحة عابرة ، ولكنها تواجهك هنا فى وقفات متأنية متتابعة ... لقد كانت حياة على طه كما استخلصناها من صحبته بالأمس وكما نستخلصها اليوم من شعره ، كانت فراغاً موحشاً فى أيامه الأولى بقدر ما كانت امتلاء مؤنساً فى أيامه الأخيرة . حرمان من المرأة وحرمان من الشهرة : وهذا هو الفراغ الذى يحيل الحياة جحيما لا نسمة فيه تنعش زهرة الفن ولا قطرة ماء تروى شعلة الجسد ! عندك رجل قد يحل إرضاء الجسم فى حياته محل إرضاء الإسم تبعاً لمركب النقص ومركب التعويض ، أى أنه إذا حرم متعة من المتع أمكن أن يستعيض عنها بمتعة أخرى تشعره أن الحياة ليست مقفراً فى كل مكان وليست فراغاً فى كل آن . فإذا فقد ذيوع الصيت مثلا أو شيوع الذكر ونباهة الشأن ، فإنه يستطيع أن يشغل عن اللذة النفسية بلذة أخرى حسية ، تتمثل فى تلك الصلات التى تعمل فى ميدان الجنس حيث تستنفذ القوى الكامنة بين شعاب الغريزة . ولك أن تعكس القضية من وضع إلى وضع حين تقوم المعنويات مقام الماديات ، لتتم عملية الاستبدال بين طاقة إنسانية تقنع بواقع الحقائق وبين طاقة أخرى تقنع بما وراء الحقائق من أوهام !

لو وجد على طه المرأة فى إبان شبابه لسكن الجسم الفلق وخبت الجذوة المتأججة وخفتت الصيحة الساخطة على مرارة الحياة . ولو حصل على الشهرة لاستقر القلب الحائر واطمأن الفكر الشارد وفترت الصرخة العاتية على إدراك الناس . ولكنه حرم كلتا المتعتين فعاش غريباً فى دنياه ... غريباً بالقلب والفكر والروح !!

ولا بد هنا من سؤال يفتح أمام السائلين باباً من أبواب الحقيقة المستترة وراء الظواهر الفنية فى حياة هذا الشاعر ، وهذا هو السؤال : لم حيل بينه وبين الشهرة فلم يظفر بالمجد الأدبى الذى كان يتطلع إليه ويحلم به ويتمناه ؟ هل كان شعره فى مرحلة شبابه الأول دون المستوى المنشود لتحقيق مجده فى سجل الشعر وترديد اسمه على أفواه الناس ؟ كلا ، فلم يكن شعره فى تلك المرحلة دون المستوى المنشود بحال من الأحوال ، بل لقد كان من أجل الشعر وأصدقه وأحفله بوثبات الأداء ، ولكن كان فيه جانب نقص حال بين الشاعر وبين فرصة الظهور ... لقد كان على طه يدور بأكثر شعره حول محور ذاته شأن المنطوين على أنفسهم من شباب ذلك الحين ، ولقد شغلته نفسه عن الالتفات إلى ما حوله من شئون المجتمع وأحداث الحياة ، وأجبرته بيئته وطبيعته على أن ينظر فى

أمر هذه النفس قبل أن ينظر فى أمر غيرها من النفوس ، فى وقت أقام الميزان للشعر الاجتماعى وكاد يهمل ما عداه . ومن هنا تخلف شعر النفس الإنسانية أو شعر الذاتية الفردية عند على طه وأمثاله من الشباب ، ليتقدم شعر العاطفة الاجتماعية أو شعر النزعة القومية عند شوقى وأمثاله من الشيوخ .. وغطى هؤلاء على أولئك من هذه الناحية وحدها لأنهم كانوا الصدى المعبر عن كيان جيل كامل من المصريين ؛ ذلك الكيان الذى كان قوامه رصد الأحداث وتسجيل الهزات وتحريك الهمم وإشعال النفوس !

ولقد كان على طه معذوراً فى أن يشغل بأمر نفسه عن أمر مجتمعه لأنه فنان ، فنان لم يهيىء له مجتمعه غير القيود التى أدمت منه الجناح واستنفذت جل وقته فى تضميد تلك الجراح ! وهذه هى الناحية التى غفل عنها الدكتور طه حسين حين اكتفى بتسجيل الظواهر الفنية دون أن يرجع إلى ما وراء الظواهر من أسباب .. وهذه هى كلمته عن الشاعر فى هذا المجال ، نسوقها إليك من الصفحة السادسة والستين بعد المائة من الجزء الثالث لكتاب «حديث الأربعاء» : «وأريد أن أضيف إلى ما يعجبنى فى شعره أنه حلو الأسلوب جزل اللفظ ، جيد اختيار الكلام ، وأن لألفاظه ومعانيه رونقاً أخاذاً تألفه النفس وتكاد به وتستزيد منه ، وأن فى شعره موسيقى قلما نظفر بها فى شعر كثير من شعرائنا المحدثين ، وأنه قد استطاع أن يلائم إلى حد بعيد ، لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب ، بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة فى جمالها ورواثها وبهجتها وجزالتها . كل ذلك ظاهر فى أكثر ديوانه لا أكاد أستثنى منه إلا هذه القصائد التى قيلت فى المناسبات ولم يوحها الشعور الطبيعى للشاعر ! فشاعرنا ترجمان الطبيعة ، وترجمان الإنسان إذا اتصل بالطبيعة وضل فى فيافيها أو فتن بجمالها ، ولكنه ليس شاعر الجماعات ولا ترجمانها ؛ شاعرنا فن ، شخصيته أقوى من بيئته ، وليس قصاصاً بيئته أقوى من شخصيته » !

لقد خرج الدكتور من شعر على طه الأول بأنه فى ذلك الحين لم يكن شاعر الجماعات ، وهذا حق ... ولكنه اكتفى بالتسجيل والإشارة دون البحث والتعقيب ، مع أن المفتاح كامن بين طوايا العبارة التى أعلن فيها عدم إعجابه بشعره الذى نظمه فى عدد من المناسبات ، كامن فى قوله بأن تلك القصائد لم يوحها الشعور الطبيعى للشاعر ! الواقع أن «الشعور الطبيعى» لم يوح شعر المناسبات فى ديوان شاعرنا الأول ، وهذه لمسة جد موفقة من الدكتور الناقد ، ولكنه أدار المفتاح فى ثقب الباب ولم يفتح ... لقد كان عليه أن يرجع إلى طبيعته النفسية فى ذلك الحين وما اكتنفها من عوامل البيئة وتأثير النشأة ليربط بين النتائج والمقدمات ، ولو رجع لنفذ إلى أغوار الحقيقة التى تزيح الستار عن « الشعور الطبيعى » حين يجيد التعبير عن «المناسبة الذاتية» دون غيرها من المناسبات !!

وبقى سؤال آخر ننتظر أن يتردد فى بعض الأذهان ، وهو أننا قد أشرنا إلى أن الجمهور القارىء فى الربع الأول من هذا القرن كان لا يستهويه شىء كما يستهويه الأدب الحزين المعبر عن مزاجه الحزين . فكيف يتفق هذا الرأى مع قولنا بأن على طه لم يستطع أن يحتل مكانه فى مقدمة الصفوف مع أن شعره القاتم كان حرياً باجتذاب هذا المزاج القاتم عند قارئيه ؟ ! ... الحق أن موقف الشاعر فى ذلك الحين كان شيئاً يختلف كل الاختلاف عن موقف الكاتب الأديب ، وحسبك أن الجمهور القارىء كان يقبل على الآثار النثرية الباكية وينصرف عن الآثار الشعرية التى يتطارق إليها طابع البكاء . قدم إليه قصة فيها الفاجعة وفيها المأساة ، وقدم إليه قصيدة فيها أحوال المجتمع ومطالب الحياة ، يتهافت على هذه كما يتهافت على تلك ، وحسبك دليلا أن المنفلوطى قد أرضى تلك الأذواق بنثره وأن شوقى قد أرضى بشعره نفس تلك الأذواق ، على الرغم مما بين الوجهتين من تباين واختلاف ! ومرد هذه الظاهرة إلى أن الشعر كان مطالباً فى تلك الفترة بأن يكون اللسان الصادق للحالة الاجتماعية والسياسية ، كان مطالباً بأن يكون ترجمان المشاعر القومية العامة فى وقت كانت النفوس تتحرق ظمأ إلى استرجاع الحرية المسلوبة والاستقلال الضائع والوطن المغتصب ، ذلك لأن الشعر كان أكثر إلهاباً للشعور من النثر ، وحسب النثر أن يعبر عن المشاعر الفردية التى ران عليها الحزن فى نفوس الشباب وخيم عليها الأسى والإنقباض !

ولا بد من التفرقة بين الكتابة الأدبية فى ذلك الحين وبين الكتابة الصحفية ، لأن النثر الصحفى كان يقوم بواجبه القومى إلى جانب الشعر ، ونحن نقصر الحديث على الإنتاج الأدبى فى النثر دون سواه ...

ومن هنا حيل بين شاعرنا وبين الشهرة ، ومن هنا ثار على أذواق الناس وموازين الناس ، هذه الثورة السافرة التي بدأ بها المقطوعات الأولى من قصيدته . . أما بقية المقطوعات فليست إلا ترديدا لتلك الأنغام الباكية التي كانت رجع الصدى لفنون من الحرمان أهما الحرمان من المرأة ، ولقد كان خلو حياته من الشهرة والمرأة كما سبق أن قلنا لك ، مبعثا لهذا الشعور العميق بأنه وحيد في دنياه ، يعاني قسوة الوحدة وحرقة الاغتراب :

والأرض ضاق فضاؤها الرحب ... وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب ... وبقيت وحدك أنت والزمن !

ومرة أخرى يثني على الناس جحودهم المواهب وتنكرهم للنبوغ ، وتشعر أنه طريد الظلم وإهدار القيم ، ويأخذ على الشرق غفلته عن تقدير النابهين وبخاصة في مصر التي لا يلقون فيها غير الشقاء . . هناك في قصيدة عنوانها « الطريد » في الصفحة الثامنة والسبعين بعد المائة من « اللاح التائه » ونقتطف منها هذه الأبيات :

شق أجنته الدياجي السوادف ... سليب رقاد أرقته المخاوف
ترامى به ليل كأنه سواده ... به الأرض غرقى والنجوم كواسف
إلى أين تمضي أيها التائه الخطى ... يساريك برق أو يباريك عاصف ؟
رأيتك في بحر الظلام كأنما ... إلى الشاطئ المجهول يدعوك هاتف
تخوض الدجى سهمان والنجم حائر ... يسائل : من ذاك الشقي المجازف ؟
طريد أيفر الوحش من وقع خطوه ... ويغرب عنه الصل والصل واجف
كأن إله الشر يقتحم الورى ... أو أن الردى في برده الوث زاحف
فواعجبا ! لم تحمل الأرض مثله ... ولا طاف منه بالدجنة طائف
يخاف الثرى مسراه وهو يخافه ... وبينهما يسري الدجى وهو خائف
ترى أي سر في الظلام محجب ... أليس له من نبأة القلب كاشف ؟
أجبني طريد الأرض إني يهزني ... إليك هوى من جانب الغيب شاغف
فردد ذاك الطيف صوتا محببا ... إلى كاهن رددته المعازف
وقال أجل إني الطريد وإنه ... لسر تهز القلب منه الرواجف
أتسألك الأملاك عني أنا الذي ... رمته الدياجي والرعود القواصف ؟
أجل : إن ذاني يانجي تنكرت ... لعينك لكن القلوب تعارف !
وما أنا إلا من بني الأرض نائبي ... مقيم عذابي والشقاء المخالف
وما كان هذا النوء والموج والدجى ... ليرهب نفسا حقرت ما تصادف

سواء لديها أشرق الفجر أم سجت ... غياهب في سر الدجى تتكاثف
أيجحد في الشرق النبوغ ويزدري ... ويشقى بعصر النابهون الغطارف ؟!
يحوبون آفاق الحياة كأنهم ... رواحل بيد شردتها العواصف
طرائد في صحراء لا نبع واحة ... يرق ولا دان من الظل وارف
ألا إن لي قلبي طعينا تحوطه ... عصائب تنزو من دمي ولفائف
أقلته أحنائي ذماء ولم أزل ... به في غمار الحادثات أجازف
كما رف نسر راشه السهم فارتقى ... خفوق جناح وهو بالدم نازف !

من يصدق أن صاحب هذا الشعور هو على رأي ؟ ومن يصدق أن الدنيا التي ودعها وهي على شفتيه ابتسامة عريضة قد استقبلها يوما وهي في عينيه دمعة محرقة ؟ هكذا كان ! وجوهر شخصيته أنه لم يخلق للدموع وإنما خلق للابتسامات ، ولم يخلق للقيود وإنما خلق للتحرر والانطلاق . ومفتاح شخصيته أنه كان في شبابه الأول من صنع بيئته وأنه كان في شبابه الأخير من صنع نفسه . . أي أن بيئته بالأمس كانت أقوى من إرادته فأخضعت تلك الإرادة وقررت مصيره في غمار الحياة ، وأن إرادته بعد ذلك قد تغلبت على بيئته فحطمت أغلال تلك البيئة وهيأت له أن يختار مصيره برضاه !!

لقد كانت الحرية ملتقى أحلامه وحديث أمانيه ، وكانت الحرية في رأيه هي ذلك النبع الفياض الذي تتطهر في مياهه آلام الجسد والروح ، وان تتطهر آلام جسده وروحه إلا إذا ظفر بشيئين : المرأة والشهرة . . وفي سبيل هذه الشيئين ظل يكافح الأمواج والأنواء طيلة ثلاثين عاما حتى بلغ المرفأ ، وحين بلغ المرفأ بزووقه المجهد بعد رحلة مضنية ، استطاع أن يعب من هواء الحرية وأن يتنفس بملء رئتيه وأن يبتسم في وجه الأيام . ومن وراء هذه البسمة المشرقة راح يتطلع إلى ماضيه ، ولم يملك حين أطل على الماضي المظلم من فوق قمة الحاضر الوضيء ، لم يملك إلا أن ينظر إلى العمر الذي ضاع نظرة الساخر الشامت أو نظرة الظافر المنتصر ! وارجع إلى قصيدته في « بحيرة كومو » لتدرك كيف كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين :

شاعر النيل طف بها غنها ... كل مبتكر
الثلاثون قد مضت في التفاهات والهذر !

(يتبع)

أنور المعداوي

الإسلام
في ضوء البحوث النفسية الحديثة
— ١ —

للدكتور محمد البهي
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية أصول الدين

لم يختلف موضوع البحث النفسي في الحديث عنه في القديم ، فقد كانت « النفس الانسانية » وما زالت موضوع هذا البحث منذ أن عرف الانسان الباحث استقلال في بحثه عن تعاليم الكهان في الجماعات البشرية الأولى إلى عصرنا الحاضر .

والجانب الذي يفترق به أحد النوعين عن الآخر هو فقط في النظرة التي يعالج بها موضوع «النفس» . فبينما كان يتجه القدامى من المعالجين للنفس الانسانية .. وكذا من سلك طريقهم من علماء القرون الوسطى — إلى محاولة الكشف عن «حقيقتها» : ماهي ؟ وهل لها استقلال ذاتي عن الجسم ؟ ، وعن مصدرها ومصيرها : هل هي من عالم الأزل وسترد إليه ؟ أم تنتسب إلى عالمنا الذي نعيش فيه ؟ وعن أقسامها وأنواعها : منها ما هو خير ، ومنها ما هو شرير ، ومنها ما هو مزيج من الخيرية والشرية . . . إلى غير ذلك من التساؤل الميتافيزيقي ، خاضعين في الاجابة والشرح لما كانت تقول به فلسفة « ما بعد الطبيعة » تحت تأثير آراء التعاليم الدينية الأولى على نحو ما يذكر في علم القصص الديني القديم (الميثولوجي) ، بينما كان ينحو بحث القدامى هذا النحو إذا بالمحدثين يعدلون عن هذا الاتجاه الميتافيزيقي في تحديد مشاكل النفس وتفسيرها إلى اتجاه آخر يجعل من أحوال « النفس » الخارجية التي تخضع للملاحظة الانسانية أو التجربة العلمية موضوع الشرح والتحليل والعمل السيكولوجي على العموم .

ولسنا الان بصدد ذكر العوامل التي دفعت المحدثين إلى مخالفة منهج القدامى ونظراتهم في ميدان البحث النفسي ، لأن ذلك موضوع آخر يطرق فيما بعد .

* * *

وإذا كانت نظرة المحدثين في معالجتهم « النفس » تجاوزت حقيقتها إلى ما يصح أن يسجل من أحوالها على العموم فقد استعاضوا كذلك عما ألفه القدامى من الحديث عن « مبدإ » النفس و « معادها » وعما اعتاد هؤلاء أن يرسموه من طريق لحياتها ، من كونها : تبتدىء بالهبوط من أعلى وتنتهي من جديد بالصعود إلى ذلك الأعلى والخلود فيه ، استعاضوا عن ذلك بوضع خط سير آخر : بدايته البدائية ، ونهايته الرشد والنضوج .

فتحدثوا عن تطور للنفس ، وعن مراحل لهذا التطور . وعدوا بحث الطفولة ومظاهرها كمرحلة أولى في هذا التطور ، وكذا بحث البلوغ النفسي أو العقلي كمرحلة أخيرة له . واستخلصوا من مظاهر المرحلتين خصائص متقابلة ، وأرجعوا خصائص كل مرحلة منها إلى قوانين عامة ، لها من الاعتبار والقيمة العلمية ما للقوانين النفسية الأخرى — المنتزعة من مجال بحث نفس آخر — . أما الحلقة الوسطى التي تقع بين هاتين المرحلتين في سير التطور النفسي — وهي من سن السابعة إلى الرابعة عشر تقريبا — فلم يروا لمظاهرها ما يجعلها مستقلة تماما عن مظاهر المرحلة السابقة عليها ومظاهر الأخرى اللاحقة لها ؛ بل وجدوا فيها من خصائص كل من المرحلتين ما ليس على سبيل الانفراد أيضا . ولذا اعتبروا هذه الحلقة من حلقات تطور الانسان معبرا ، ونظروا إليها كمرحلة انتقال من طور قائم بذاته إلى آخر مستقل عنه تماما . ومن هنا ندرك : لماذا عنوا ببحث الطفولة الانسانية ثم ببحث البلوغ العقلي أكثر من عنايتهم ببحث المرحلة الوسطى بينهما .

* * *

وقاسوا على الطفل في مرحلة الطفولة الأولى — وهي من السنة الأولى إلى السابعة — الانسان البدائي في درجة البلوغ الجنسي ، وهو كل إنسان لم ينضج نضوجا عقليا ونفسيا حسب معاييرهم . صنعوا ذلك لوجود الشبه في المظاهر النفسية بين الاثنين . وكلمة : «الطفولة» إذن عنوان على عدم الرشد ، وتقابل تماما — كما ذكرنا — البلوغ العقلي أو النضوج الانساني .

وتبع علماء النفس في تقسيم الانسان إلى فرد بدائي غير رشيد وآخر بالغ أو ناضج حسب تحديدهم لمظاهر النوعين علماء الاجتماع في تقسيم الجماعة الانسانية إلى بدائية أو فطرية وأخرى ناضجة

أو متحضرة . وراعوا فى تقسيم الجماعة على هذا النحو نفس المقاييس التى عرفت لعلماء النفس .

ونهج منهج النفسيين والاجتماعيين مؤرخو العقائد الدينية فى موازنتهم بين الأديان . فجعلوا منها ضربا بدائيا وآخر راقيا . وقصدوا بالأول ما كانت معتقداته تصور مظاهر الطفولة ، وبالثانى ما كانت معتقداته ووصاياه تمثل مظاهر البلوغ العقلى للانسان . فاستعاروا التقسيم لموضوعهم وكذا الأساس الذى قام عليه من علماء النفس أيضا .

وبالحديث عن مظاهر الطفولة عند النفسيين سنعرف بطريق المقابلة مظاهر الرشد أو البلوغ العقلى عندهم ، ويمكن بالتالى عن طريق الاسترسال تصور الجماعة البدائية والجماعة المتحضرة عند علماء الاجتماع ، وكذا أخذ صورة ، عن الديانة البدائية والأخرى الراقية عند علماء الأديان .

* * *

وفى الحديث عن مظاهر الطفولة النفسية سنقصر الكلام على بعضها — كأمثلة فقط — مما لبيانه أثر فى توضيح الاسلام كدين وهو هدف هذا الحديث . سنقصر الكلام على وصف :

١ ـ إدراك الطفل فى مرحلة الطفولة الأولى ـ من السنة الأولى إلى السابعة ـ ،

٢ ـ وجدانه ،

٣ ـ صلته بالعالم الخارجى ،

٤ ـ سلوكه وتصرفاته ،

٥ ـ أحكامه وتقديره .

* * *

١ — ادراكه :

فى الجانب الأدراكى : يقف إدراك الانسان فى مرحلة الطفولة الأولى عند حد المحسوس من الأشياء . ثم ما يدركه من ظاهر الشىء هو الشىء على الحقيقة عنده . وهكذا :

(ا) جزء الشىء يعبر فى نظره عن الشىء كله ، وهو كأنه هو : فالبرتقالة مثلا لا يدركها بكل مقوماتها من شكل ، ولون ، وطعم ، وغير ذلك من خصائصها التى تتصل بأليف البرتقال وعصيره مثلا بل بما ينجذب إليه إدراكه من ظاهرها . فلونها الأصفر الفاقع كاف عنده فى تميزها عن فاكهة أخرى .

(ب) والاجمال هو التفصيل فى رأيه : فلون البرتقالة ـ فى المثال السابق ـ يحمل فى طيه بقية العناصر الأخرى التى لها دخل فى ماهية البرتقالة من شكل ، وحجم ، وخشونة أو نعومة فى الملمس ، ومذاق فى الطعم . . . إلى غير ذلك .

(ح) والشىء وأثره أو لازمة من لوازمه واحد فى نظره . فقد لوحظ أن طفلا فى سن الرابعة يقبض على شعاع الشمس فى غرفته ـ وقد وصل إليها عن طريق النافذة ـ ويحاول بفتح ذراعيه ثم يضمهما على هذا الشعاع القبض على الشمس حتى لا تخرج من الغرفة قبل أن تجىء أمه التى أخذ يناديها لترى الشمس حبيسة بين ذراعيه . كما لوحظ من طفل آخر فى سن الخامسة من عمره أنه أخذ يصيح ويبكى . فلما سأله أبوه المصاحب له عن سبب بكائه أراه ما سقط على يده قائلا له ، إنها دودة من دود القز ، تلدغه . ولم يتبين أبوه طبعا إلا بعض خيوط القز ، إذ ذلك هو الموجود فعلا على يد صغيره . لكن فى إدراك الطفل ؛ دودة القز وخيوطها سواء ، ولذا منح الخيوط خصائص الدودة ، وهو اللدغ .

وإدراكه إذن للشىء الخارجى على هذا النحو إدراك ناقص ، لأنه لم يقف على الشىء كما هو فى الواقع . ولذا لا يستطيع إدراك حقيقته ، وهى ذلك القدر العام الذى تشترك فيه جملة من الأشياء الخارجية والذى يحمله كل شىء منها خلف ظاهره أو على حد تعبير الناطقة وراء «مشخصاته» . كما لا يستطيع من باب أولى أن يدرك ما يجمع مفردات العالم كلها من «معنى الوجود» أو مما يسميه الناطق «بالجنس الأعلى» . وبالتالى لا يدرك ما وراء ذلك من «الحقيقة العليا» التى هى مصدر الوجود كله وهو الله المعبود . فالله المعبود وراء كل ما يحس ، لا يدرك عن طريقه أية حاسة من الحواس بتصور ذهنا فقط . ولأنه وراء المحسات كان كليا ، ولأنه مصدر الآحاد كلها والمجمع الأخير لها كان فردا واحدا .

والاذعان البدائى فى الناحية الإدراكية يشبه الطفل فى مرحلة طفولته الأولى . يقف بإدراكه عند حد ما يدرك بالحس من الأشياء ، ويعزيه منها ما هو أشد ظهوراً فيها من لون ، أو حجم دون ما لها من ذوات وقيم .

وجزء الشيء عنوان للشيء عنده : يعبر عن حيوان ما لو سئل عنه — بحكاية له من صوت أدركه عن طريق السمع ، أو بوصف آخر أدركه بأحدى الحواس الأخرى .

وقلما يتناول وصفه إياه عناصره المتعددة فضلا عن ماهيته وحقيقته .

ولأنه يقف فى إدراكه عند حد المحسوس كان إلهه دائما كائنا محسا مما يقع فى بيئته الجغرافية ووطنه المحلى . وليست القيمة الذاتية للمعبود هى التى دفعت ذلك الانسان البدائى إلى عبادته — لأنه لم يصل إلى تلك القيمة بعد — بل الصدفة وحدها هى التى ساقته لما عبد وأله .

وإذا كان جنس من الأجناس البشرية — كقدماء المصريين ، واليونان ، والأمم الأسيوية القديمة ، أو شعوب أواسط أفريقيا واستراليا اليوم — يحتل فى سكناه رقعة واسعة وجدنا فى تاريخه فى عهود ضعفه عدة معبودات ، لا تخرج عن كونها كائنات محسة ، ووجدناها موزعة فى تلك الرقعة حسب جماعاته .

وكثيرا ما يكون تكتل طوائفه وجماعاته ناشئا عن اتحاد الاتجاه نحو عبادة كائن معين ، وليس عن سكنة إقليم بالذات أو انتساب إلى قبيلة بعينها .

وأهم ما يحدد الوثنية أن المعبود فيها محسوس . أما أنه متعدد أو متغير ، أو غير مستمر النفع أو الضر ، أو خلاف ذلك مما يذكر فى خصائص الوثنية فمن لوازم هذا الجانب الرئيسى فيها ، وهو كون المعبود محسوسا . إذ من طبيعة المحسوس أن يكون متعدداً بحكم تشخصه . وعن هذا التشخص كان تغيره ، وبالتالى كان غير دائم النفع والضر .

وهكذا يجمل مؤرخوا الأديان وثنية أى شعب عنوانا على ضعف الجانب الأدراكي فيه ، ووثنية الفرد عنوانا على بدائيته ، للسبب الذى ذكرنا من وقوفه عند حد المحسوس فيما اعتقد وعبد .

والديانة الفارسية (الزراد شتية) — لأنها قامت على تأليه إلهين ممنوبين هما الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة — تعد فى نظر هؤلاء المؤرخين أكثر رقيا من الوثنية ، لكن مع ذلك أدنى من الديانة الموحدة . لأن إدراك التابعين لهذه الديانة الآرية إن تجاوز المحسوس إلى ماوراءه لم يستطع أن يبلغ النهاية هناك ، لم يستطع أن يصل إلى ما يجمع هذين المعبودين . وما يجمعهما هو « الحقيقة العليا » التى لها اسم الله والتى يجب أن تقتصر العبادة عليها وحدها دون ما يليها من موجودات أدناها .

فالديانة الفارسية أشبه بحلقة وسطى بين الديانة البدائية — وهى الوثنية — والأخرى الراقية — وهى الموحدة .

ولو سلكنا مسلك مؤرخى الأديان عند الموازنة بين دين وآخر ، واعتبرنا ماوضعوه من مقاييس للتفرقة — غاضين النظر عن حجية الوحى — لو سلكنا هذا المسلك فى توضيح قيمة الاسلام لأرانا هذا الذى عرفناه الآن فى الحديث عن جانب من جوانب الطفولة الانسانية أن الاسلام فى تحديده « الله » المعبود جل جلاله يمثل حد ما من مقاييس البلوغ العقلى فى نظر الانسان نهاية الرشد والنضوج .

فالله فى نظر الاسلام وراء الموجودات جميعها وفوق العالم كله . يخطو الادراك الانسانى فى تصوره خطوات : من وقف بادراكه عند الحس لم يكن تقدم إليه إلا خطوة . ومن تجاوز الحس إلى معنى مشترك بين جملة من المحسوسات لم يبلغه بعد .. حتى إذا نفذ بادراكه وراء جزئيات العالم عن طريق الترقى فى التفتيش عما يجمع الكائنات كلها يكون قد اقترب فى تصوره منه ؛ ومع ذلك فلما يكشف عن ذاته وحقيقته كما هى .

فهذه الخطوات فى الإدراك بعد الظاهر المحس من الأشياء لاتكون فى نظر علماء النفس إلا من الرشيد . وكلما كثرت خطوات الرشيد فى إدراكه كلما كان أكثر اكتمالا فى معنى الرشد والنضوج .

وصف الإسلام « الله » بأنه واحد فى مثل قول القرآن الكريم : قل هو الله أحد... ليس كمثله شئ... ولم يكن له كفوا أحد... وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . ووصفه بذلك يدل على أن له الوضع السابق . إذ الوحدة المطلقة التى تعطيها هيئة التركيب فى هذه الآيات الكريمة لا تكون إلا لمن انتفى عنه التشخص أولا ، ومعنى الاشتراك فيه ثانيا . وذلك هو الموجود المطلق .

فالوحدة هنا دليل على الإطلاق أو عدم القابلية للتحديد ، كما أن التشخص هناك فى الوثنية آية على التعدد والكثرة .

وبعض المسيحيين الذين ألهوا عيسى الرسول عليه السلام يضفون على المسيحية كديانة سماوية — عن طريق تأليههم عيسى — بعض خصائص الوثنية ، لا من حيث الاعتقاد بآلهين أحدهما الأب والآخر الابن ، لكن أولا وبالذات من حيث إن أحدهما بحده الحس والتشخص وهم بذلك يحرفون الكلم عن مواضعه ويستبدلون بآيات الله صنعة الإنسان .

«يتبع»

محمد البهى

رؤيا مـــــرزا

للكاتب الانجليزي يوسف أديسون

بقلم الآنسة ماهرة النقشبندي

رأى النصف الأول من القرن الثامن عشر كاتباً بارعاً وفناناً أصيلا سال وجال في جريدتي السبكتاتور Spactator وتتلر Totler وصور حياة الانجليز الاجتماعية تصويراً دقيقاً في تلك المقالات المنثرية التي كان ينشرها في الجريدتين المذكورتين ، والتي تعتبر من فنون الأدب الرفيعة ، يدرسها طلاب الأدب في اللسان الانجليزي فترهف احساسهم وتشيع في أذواقهم روعة فن التهكم في ابلغ معانيه . تخرج من جامعة اكسفورد وكان شاعراً يجيد القريض في اللسان اللاتيني . طاف أوروبا دارساً متنقلا ؛ وعاد منها وانخرط في السياسة فوصل إلى كرسي الوزارة وجلس في البرلمان الانجليزي والارلندي مدة طويلة . تزوج سنة ١٧١٠ من الأرملة الفاتنة المثرية الكونتس واروك ومات في هولندا في ١٧ — ٦ — ١٧١٩ ودفن في مقابر عظماء الانجليز في كنيسة وستمنستر

(المترجمة)

حينما كنت في مدينة القاهرة العظيمة وقع في يدي عدد من المخطوطات الشرقية التي لايزال بعضها معي ، ووجدت من بينها واحدة عنوانها رؤيا ميرزا ، بعثت قراءتها في نفسي سروراً لا حد له . وقد عزمت على نشرها للقراء عندما لا أجد ما أسليهم به وسأبدأ بالحلم الأول الذي ترجمته بالحرف الواحد كما يلي :

عندما حل اليوم الخامس من الشهر القمري الذي لا أزال أقدسه كعادة اجدادي ، اغتسلت وصليت الصبح ثم تسلقت تلال بغداد لاقضي سحابة اليوم في التأمل والتعبد . وبينما كنت اتنزه على قمم الجبال ، رحت في شرود ، أفكر في تفاهة الحياة البشرية ، وتنازعتني الفكر ، وقلبت الأمور على وجوهها فلم اجد الإنسان إلا ظلا ولا الحياة إلا حلماً طويلا . وبينما أنا في تأملي وقد سرحت النظر إلى قمة صخرة لاتبعد عني كثيراً ، رأيت رجلاً في ثياب راع يحمل في يده آله موسيقية وضعها إلى شفتيه وبدأ يعزف عليها حينما نظرت إليه . كانت الانغام رائعة شجية مختلفة الايقاع تنساب في رفق ولين وعذوبة لا توصف وكانت تختلف عن كل ما سمعته أذناي من موسيقى ، وذكرتني بالأنغام السماوية التي لا تعزف إلا للارواح الصالحة عند رحلتها الأولى إلى الفردوس لتنسيها آلام النزع الأخير وتمدها للسعادة التي تنتظرها في ذلك المكان البهيج . فأحسست كأن قلبي يذوب وكأنني افنى في ذهول خفي .

لقد كنت أعلم ان هذه الصخرة يسكنها جني ، وان بعضهم قد اطربه موسيقاه الساحرة ، غير انني لم أسمع ان العازف قد ظهر للعيان . وفيما أنا ذاهل عن نفسي بما اثارت هذه الأنغام الشجية في رأسي من افكار ، ولكي يتيح لي لذة محادثته اشار إلي بيده حينما نظرت إليه مشدوها لأقترب من مجلسه ، فدنوت منه باحترام يليق بمكانة كأن غير بشر . ولما كانت أنغامه الشجيه قد اخضعت قلبي بكليته فقد ركعت على قدميه انتحب . فابتسم لي بسمة يشع منها اللطف والحنان جعلته قريباً إلى نفسي ، غير مخيف لناظري ، وطردت ما اعتراني من خوف وفزع عند قدومي إليه . وأخذ بيدي ورفعني عن الأرض قائلا : ميرزا ! لقد سمعتك وأنت تناجي نفسك فاتبعني . وقادني بعدئذ إلى أعلى نقطة في الصخرة واوقفني فيها وقال : ألق بنظرك إلى الشرق وأخبرني ماذا ترى ؟ قلت : أرى وادياً عظيما يمر فيه تيار هائل من الماء . قال ، ان هذا الوادي الذي تراه هو وادي الشقاء ، وهذا التيار الذي يقع عليه ناظراك هو جزء من تيار الأبدية العظيم . فسألته ما السبب في ان التيار الذي اراه ينبع من ضباب كثيف من طرف ، ثم يتلاشى في ضباب كثيف في الطرف الآخر ؟ قال : ان ما تشاهده هو ذلك القسم من الأبدية الذي ندعوه بالزمن ونقيسه بواسطة الشمس ، ويمتد من بداية الدنيا إلى نهايتها . حدق الآن في هذا البحر الذي تكتنفه الظلمات من جميع جهاته وأخبرني عما تجد فيه . . قلت . . اني أرى جسراً في منتصف التيار . قال : ان هذا الجسر الذي تراه هو حياة البشر ، فانظر إليه جيداً . وبعد إعادة النظر الدقيق وجدته مؤلفاً من ستين دعامة وعشر اخرى منفردة وبعض الدعامات المخربة التي إذا اضفناها إلى تلك تجعل المجموع يربي على المائة . وفيما كنت احصي الدعامات اخبرني الجني ان الجسر كان مؤلفاً في البداية من ألف دعامة ، ولكن فيضاناً مدمراً جرفها وترك الجسر في حالة الخراب التي تراها . فسألني عما أجد

فوقه فقلت : ارى جمهوراً من الناس يمرون عليه وارى سحابتين سوداوين معلقتين فوق نهايتيه . وبعد أن أعدت النظر ثانية رأيت بعض السائرين يسقطون من الجسر إلى التيار الهائل الذى يتدفق فى أسفله . وبعد كثير من الفحص والتدقيق لاحظت مزالق لانعد وضعت فى الجسر بصورة خفية ، وحينما يطأها المارون يسقطون منها إلى التيار فيبتلعهم حالاً ويختفون . وكانت عند هذه الفتحات الخفية واسعة عند مدخل الجسر بحيث ان كثيراً من الناس كانوا يسقطون فيها حال خروجهم من الغيوم . وتأخذ فى الضيق عند منتصفه ولكنها تتضاعف وتقترب من بعضها عند اقترابها من نهاية الدعامات المنفردة .

لقد وجدت ان عدداً قليلاً جداً من الناس هم الذين استطاعوا الإستمرار فى سيرهم نحو الأعمدة المخربة ثم سقطوا تباعاً منهوكى القوى متعبين من ذلك السير الطويل .

وقضيت بعض الوقت فى تأمل ذلك البناء العجيب وما بان فيه من مواضع مختلفة غريبة . وقد ملأ قلبى الأسى لرؤية بعضهم يسقطون على حين غرة وهم فى اوج السعادة والمرح فيتشبثون بكل ما تقع عليه ايديهم لإنقاذ انفسهم .

وكان بعضهم ينظر إلى السموات غارقاً فى تفكير عميق ، وفى خلال تلك التأملات والذهول يتعثر ويسقط ثم يتوارى عن النظر .

وكانت الجماهير منهمكة فى اللحاق بالدمى التى كانت تشع بالنور فى عيونهم وترقص أمامهم ، وعند ما يحسبون انهم بالغوها تزل اقدامهم فيقعون فى الأعماق غارقين . وبين هذه الأشياء المحيرة لاحظت ان بعضهم يحملون سيوفاً وآخرين يحملون مباول وهم يروحون ويجيئون فوق الجسر يدفعون بعض الناس خلال المزالق التى لا تبدو واضحة فى طريقهم والتى قد ينجون منها لو لم يدفعوا إليها قسراً .

ولما رأى الجنى أننى منهمك فى تتبع هذا المنظر المحزن أخبرنى أننى قد تأملت طويلا وقال : حول عينيك عن الجسر واسألنى عن الشىء الذى لم تدركه . فسألته وأنا مصوب نظرى إلى الملاء عما تعنى تلك المجموعة الهائلة من الطيور التى تحوم بصورة مستمرة فوق الجسر وتقف عليه من حين إلى آخر فإننى أرى نسوراً وعقباناً وغرباناً ، وكثيراً من المخلوقات المجنحة ، أرى بينها صبياناً مجنحين يحتشدون مزدحمين فى وسط الأعمدة . قال الجنى : هؤلاء هم الحسد والطمع والخرافات واليأس والحرب وما شابهها من المطامع والآلام التى تفيض بها حياة البشر .

وند عن صدرى تنهد عميق وقلت : يا للأسف ! لقد خلق الإنسان سدى . يدفع للشقاء ثم للفناء . يعانى فى حياته الضنية الآلام الجسام ثم ينقض عليه الموت ويزدرده ، لقد تحركت الرأفة فى قلب الجنى فأمرنى أن أترك هذا المنظر المؤلم قائلاً كف عن النظر إلى الإنسان فى أول مرحلة وجوده ومسيره إلى الأبدية ، وسرح طرفك فى ذلك الضباب الكثيف الذى يحمل التيار إليه الأجيال الفانية ، فتنقلت ببصرى إلى حيث أمرنى « ولا أدرى هل كان الجنى الطيب قد بث فيه قوة فوق العادة أو أزاح قسما من الضباب الذى كان يبدو أولا شديد الكثافة حتى لا تستطيع العين اختراقه »

رأيت الوادى ينفتح من نهايته القصية ويمتد إلى محيط عظيم فى وسط صخرة من الماس تقسمه قسمين متساويين ، ولا تزال السحب تغطى نصفاً منه بصورة لم تدعنى أكتشف شيئاً منه . أما النصف الثانى فكان يبدو جلياً كمحيط فسيح تناثرت فيه جزائر لا يبلغها المد مزروعة بالفواكه والرياحين يفصلها عن بعضها آلاف من البحار الصغيرة المتلألئة . وكان فى استطاعتى أن أرى أناساً عليهم ثياب من سندس وإستبرق تزين رؤوسهم الأكاليل يتريضون خلال الأشجار ويتمددون عند الينابيع الصافية أو يستريحون على فراش من الأزاهير . وسمعت أنغاماً ساحرة مشوشة من تغريد الطيور وخرير المياه وأصوات بشرية وآلات موسيقية . فملأ هذا المنظر البهيج روحى بالسعادة ونفسى بالأمل وتمنيت لو كان لى جناحا نسر لأطير إلى هذا الوادى السعيد ؛ ولكن الجنى أنبأنى أن الطريق الوحيد إليه طريق الموت الذى كنت أراه يفتح فى كل لحظة فوق الجسر . واستطرد قائلاً إن خلف هذه الجزر التى تبدو لعينك نقية خضراء تملأ وجه المحيط بعددها الذى يفوق ذرات الرمل على ساحل البحر ، تمتد عشرات الآلاف من الجزائر حيث لا يدركه نظرك أو تتصوره مخيلتك تلك هى مساكن الصالحين بعد الموت يحلون بها قسر بلهم السعادة السرمدية ويحف بهم السرور الدائم كل حسب ما قدم وأخر وما امتاز به من فضيلة ومنزلة وهم

الجارم الشاعر

للأستاذ عبد الجواد سليمان

وعدت القراء أن أعود إليهم على صفحات الرسالة الغراء لنجول جولة مع الجارم فى شعره علنا نعطى صورة ولو تقريبية لمقدار حظه من هذه الموهبة الشعرية التى يكبها الله فى قلوب بعض عباده فيلهمون القول ، ويتفجرون بفيض من الحكمة يصوغونه نظما شعريا يتفاوتون فى بلاغته تفاوتا يخضع لنصيب كل شاعر من التهيؤ والملكة وسعة الإطلاع ، فإن الشعر عاطفة وفكرة ، وإحساس وخيال ، أو هو كما عرفه بعض الغربيين بأنه (الحقيقة التى تصل إلى القلب رائعة بوساطة العاطفة) أو هو (عرض البواعث النبيلة بوساطة الخيال) :

أو هو كما يقول الجارم نفسه : —

الشعر عاطفة تقشاد عاطفة ... وفكرة تتجلى بين أفكار
الشعر إن لامس الأرواح ألهبها ... كما تقابل تيار بتيار
الشعر مصباح أقوام إذا التمسوا ... نور الحياة وزند الأمة الوارى
الشعر أنشودة الفنان يرسلها ... إلى القلوب فيحيا بعد إقفار

والباحث فى شعر الشاعر لن يصل إلى نتائج صحيحة أو يأتى بحثه قريبا من كبد الحقيقة إلا إذا كان « ديوان الشاعر » أمامه لايفارقه لحظة ، يقلب صفحاته ، ويتنقل بين قصائده وينعم النظر بين أبياته ، ويطيل التأمل والوقوف عند كل معنى من معانيها مراعيا فى تقديره وإصدار أحكامه للشاعر أو عليه كل ما أحاط به من ظروف وملابسات خاصة وعامة عند ما نظم قصيدته ؛ ومقدراً المناسبة التى قالها فيها والغرض الذى يرمى إليه ، ثم يخلص من ذلك إلى الجمع بين المتشابه ، والتأليف بين المتقارب ، ثم يستنبط جمعه ما هو بصدد الوصول إليه من حقائق عامة ونظريات أدبية هامة ، ويسوق من شعر الشاعر الشواهد التى تؤيد دعواه ، ومن أقوال النقاد السابقين أدلة تدعم قضاياه .

والجارم فى ثقافته وسط بين المدرسة القديمة التى يمثلها القدامى من أدباء دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وهما مشتقتان من مصدر الأزهر : وهذه المدرسة القديمة ترتكز فى دراستها على القرآن وحديث الرسول والآثار القديمة من دواوين الشعراء فى عصور العربية الزاهرة ، وكتب الناقدين من أضراب عبد القاهر وابن رشيق والآمدى والعسكرى وغير هؤلاء ؛ والمدرسة الحديثة التى يمثلها الأعلام ممن تعلموا تعليما مدنيا وجنحوا فى دراستهم إلى الآداب الغربية ينهلون من حياضها ممن هم على شاكلة لطفى السيد وقاسم أمين وفتحى زغلول ومن سار سيرتهم واهتدى بهديهم .

فجاء الجارم فى شعره حلقة الاتصال بين المدرستين ، ينظم فى الحوادث الجلى والمناسبات التاريخية فتسمع له شعرا فيه الطابع البدوى والموسيقى العربية ، والألفاظ المنتقاة فتخاله رجعيا قديما وتحسبه ما يقول الا مارا ، ثم لاتابث أن تسمعه ثانية فتسمع شاعرا متصرفا فى شعره ساميا فى خياله فتلمح روح العصر قد بدا ناطقا فى قصائده مرئيا من أبياته .

موزعون على الجزائر التى تعمها المسرات المتنوعة موافقة حسب ما يشاءون وما يلذ لهم لإتمام هنائهم فيها . وكل جزيرة فردوس أعد للأبرار الأطهار من بنى البشر . فهلا تستحق هذه المساكن يا ميرزا النضال للفوز بها؟ وهل تبدو الحياة مفعمة بالتعاسة وهى تعطى هذه الفرص لنيل مكافأة كهذه؟ وهل الموت مخيف وهو الذى يحملك إلى هذه الحياة الطليقة التى لا يعكر صفوها كدر؟ فلا تحسب أن الإنسان خلق سدى ، وفى انتظاره تلك الحياة السرمدية . وعلقت فى تلك الجزر وقلبى مفعم بسعادة لايحدها حد . وأخيراً رجوته أن يكشف لى عن السر الذى يكمن خلف الغيوم التى تحجب الطرف الآخر من صخرة الماس . فلم يجبنى الجنى فالتفت بعد لحظة إليه لأكلمه فلم أجده ؛ واستدرت إلى المنظر الذى تأملته ذلك الوقت الطويل فرأيت بدلا من التيار الموار وأعمدة الجسر والجزر السعيدة وادى بغدات [1] المريض تمر فيه الثيران وقطعان الغنم والجمال ترعى الكلأ فى دعة واطمئنان .

(١) لعل الكاتب يقصد مدينة بغداد ، ولكنها غير واقعة على جبال كما توهمها .

بغداد — صالحة النقشبندى

فهو مثلا فى إحدى مدائحه الملكية تبدو عليه آثار المدرسة القديمة وتأثره بمنهج القدماء من الشعراء عند ما يقول : —

أقبس الروح من شعاع الراح والثم الحسن فى جبين الصباح
وابعث اللحن من سمائك ياشـــــعر ونافس به ذوات الجناح
وانهب الحسن من خدود العذارى وامرق السحر من عيون الملاح

إلى أن يقول : —

إيه ياشعر أنت سلطان فى الدنيا إذا ضاق بى فسيح البراح

وفى مثل هذه المناسبة وفى قصيدة أخرى يطل عليك الجارم من مدرسته الحديثة فتبدو على شـــعره سمات الثقافة الغربية ودراسته الحديثة فيقول فى الفاروق : —

هو الأمل البسام رف جناحه فطارت به من كل قلب بلابله
هو الكوكب اللماح يسطع بالمنى وتنطق بالغيث الغميم مخايله
ترى بسمة الآمال فى بسماته وتلمس سر النبل حين تقابله
يفديه غصن الروح ريان ناضرا إذا اهتز فى كف النسائم مائله

فإن الأمل البسام ، وطيران البلابل من القلوب ، وسطوع الكواكب بالمنى ، وبسمة الآمال وإهتزاز الغصن المائل فى كف النسائم ، وجريان (النسائم) على هـذا الوزن فى الجمع كلها من التعبيرات العصرية ، ووليدة اصطلاحات المدرسة الحديثة فى اتجاهات دراستها .

والجارم فى كل شعره أو على الأقل فى الغالب الكثير منه لا تكاد تفارقه هذه الصفة التى يمثل فيها مدرستى الأدب القديمة والحديثة ويصل بينهما ما يكاد ينقطع .

وهناك صفة أخرى يتميز بهـا الجارم فى شعره ، تلكم هى (قدرته على التصرف) فى نظمه فى مختلف الأغراض ، ولعله اكتسب هذه الميزة من كثرة ما قرأ وطول ما توفر على الدراسة والبحث مع حسن استعداد وصفاء طبع وإدامة النظر فى أشـعار من سبقوه ، ولن تكفى مطلقا لخلق شاعر حسن التصرف كثرة القراءة وحدها إذا أكثر من المكثرين القراءة ، ولكن ما أقل من نجده من بينهم قد توافرت له أداة حسن التصرف فى القول ؛ بل لابد أن يعزز كثرة القراءة نهيؤ من خيـال خصيب وذوق سليم وطبع صاف على نحو ما قال الجرجانى (إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون القريحة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان) أو على نحو ما يقول بكر بن النطاح (الشعر مثل عين الماء إذا تركتها اندفنت وإن استهتنتها هتنت) وكما يقول أحمد حسن الزيات فى كتابه (دفاع عن البلاغة) (آلة البلاغة الطبع الموهوب والعلم المكتسب) .

فالجارم الذى يجود خياله بصورة للحرب العظمى تمج بالدماء وتتطاير فيها الأشـلاء فتشبع منها العقبان فى البر والحيتان فى البحر ، وتعبر عنها هذه الأبيات : —

طاحت بأهل الغرب نار الوغى وهبت الريح بهم زعزعا
طاف عليهم بالردى طائف فاخترم الأنفس لما سـعى
وصاح فيهم للنوى صـائح فصمت الأسماع مذ سمعا
قد فصت الأرض بأشلائهم وأصبح البحر بهم مترعا
وآن للعقبان أن تكتفى وآن للحيتان أن تشبعا

— هو نفسه الجارم الذى يلين ويرق فيسيل ظرفا وحلاوة فى لهوه — لحسن تصرفه — فيقول : —

ياسـارقات الصبح طال ليلى فديتكن بعض هـذا الدل
هل جائزى دين الغرام ذلى من لى بأن ألقى الصباح من لى ؟
باللمح أو باللمس أو باللثم

فيكن ذات حسب ودين مشرقة الطلعة والجبين
كأنها إحدى الظباء العين من عاذرى فيهن من معينى
عيل بهـا صبرى وطاش حلمى

حديثها سلافة النديم وخلقها تواضع اليتيم
فديتها من ملك كريم تعرف فيها نضرة النعيم
أنقى وأصفى من نطاف الغيم

وإن المعانى التى تتضمنها هذه الأساليب (سارقات الصبح ، دين الغرام ، طاش حلمى) من المعانى البديعة المبتكرة التى تدل على حسن تصرف الشاعر . وإن تشبيه الحديث بسلافة النديم والخلق بتواضع اليتيم ، من التشبيهات الجليلة الرائعة .

وهو نفسه الجارم الذى يبكى أمير الشعراء (شوقى) ويصور

لجيمة مصر والشعر فيه تصويراً تسمو فيه مقدرة الجارم على التصوير الشعرى فيقول : —

مات يا طير صادح تسجد الط ... ير إذا رجع الصدى تحنانه
نبرات تخالها صوت دارو ... د بلفظ تخاله تبيانه
مات شوق وكان أنفذ سهم ... صائب الرمى من سهام الكنانه
أبك للشمس فى السماء أخاها ... وإبك للدهر قلبه ولسانه
وابكه للنجوم كم سامرته ... مالئات نوحيها آذانه
وابك للروض واصفا يخجل الرو ... ض إذا هز باليراع بنانه
وابكه للخيال صفوا نقيا ... إنه كان فى الورى ترجمانه
ملأ الشرق موت من ملأ الشر ... ق حياة وقوة وزكانه

ثم ينتقل بحسن تصرفه — من تصوير هول المصيبة بوفاة شوق وخسارة مصر والشرق العربى فيه ، إلى تصوير قومية شوق وحبه لمصر وتعلقه بكل ما هو مصرى من نيل وخضرة وشمائل ، وأنه يعشق من أجل مصر النيل والجزيرة وجسر اسماعيل وعين شمس و ... و ... فيقول : —

كان صبا بمصركم هام شوقا ... برباها وبثها أحزانه
دفن اللهو والصبا فى ثراها ... وطوى من شبابه عنفوانه
هى بستانه تفرد فيه ... وحبا كل قلبه بستانه
يحرس الفن فى ظلال نواحيه ... ويرى عن دوحه غربانه
يعشق النيل والشمائل تهـ ... ـتز بشطيه خضرة ولدانه
يعشق النيل والجزيرة تغريـ ... ـه وقد لف حولها أردانه
يعشق الجسر والفضاء تهفو ... حوله كالحمائم الظمآنة
ويحب السواد من عين شمس ... مالئا من رواته أجفانه

ثم يطلع علينا الجارم بعد ذلك بصورة جديدة — دون أن يعدم سمة الحيلة وحسن التصرف — يصور فيها شوقا إماما لمن ينشدون الخلود ومثلا أعلى لمن يتوقون إلى حسن الذكرى وطيب الأحدوثة يحتذ به كل من تصبو نفسه إلى ذلك فيقول :

هكذا كل من يريد خلودا ... يجعل الكون كله ميدانه
هكذا فليسر إلى المجد من شا ... ء ويرفع بذكره أوطانه

ثم يلم بأخلاق شوقى فى أبيات ستة يجمع فيها مكارم الأخلاق التى يتسابق أعزاء الرجال فى تحصيلها لنزداد بها عزتهم حصانة وقوة فيقول : —

خلق كالندى وقد نقط الزهـ ... ـر فحلى وشى الرياض وزانه
وصبا يملأ الزمان ابتساما ... وحجا يملأ الزمان رزانه
وسماح يلقى الصريخ بوجه ... تحسد الشمس فى الضحى لمعانه
شمم فى تواضع وحياء ... فى وقار وفطنة فى لقانه
وحديث حلوله روعة الشعر ... فلو كان ذا قوافٍ لكانه
يبقين الله ماسه الضعف ... ولا طائف من الشك شانه

ثم ينتقل بعد ذلك — وعماده حسن تصرفه — إلى مناجاة شوقى فى حنان شعرى وأسف على فراقه ودعاء له من قلبه مع اعتذار واعتبار قائلا : —

أيها الراحل الكريم لقد كنـ ... ـت سواد العيون أو انسانه
نم قليلا فى جنة الخلد وانعم ... برضا الله واغتنم غفرانه
كيف يوفى الشعر الذى ملك الشعـ ... ـر وألقى لغيره أوزانه
ورثاء البيان جهد مقل ... للذى خلد الزمان بيانه

نهج من المناهج القويمة السليمة رسمه الجارم بطبعه الشعرى الأصيل وسار عليه فكان موفقا فيما نظم من قصيد . أليس هو النهج الذى رسمه عبد العزيز الجرجانى للشاعر وأوصاه بالتزامه ليسلم من الزال فقال (ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستعتابك ولا هزلك بمنزلة جدك . . . بل ترتب كلامك مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف المديح تصرف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز من المدح باللباقة والظرف؛ ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ؛ فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه) .

عبد الجواد سليمان

المدرس بمعلمات سوهاج

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٧)

«٣» مناهج الأدلة لابن رشد

للاستاذ كمال دسوقي

(تتمة)

والمبحث الثاني في بعث الرسل ذو شقين : الاول إثبات الرسالات — والثاني في أن قد جاء بها إلى الناس واحد منهم ويجب تصديقه . وهذا أيضاً قد أراد المتكلمون إثباته بالقياس والحكم من الشاهد إلى الغائب بأن قالوا إن من حق الملك القادر المريد المتكلم أن يبعث رسولا إلى عباده ، كما أن من واجب الناس متى ظهرت على الرسول علامة الملك وصدق الدعوى أن يصدق ما جاء به . ويعترف ابن رشد أن هذا الدليل (ظهور المعجزة) مقنع ولائق بالجمهور وهو مقصد الشرع — ولكنه بناقش ما يكتنفه من اختلال في أصوله ككيفية معرفة صدق الرسالة بأن يقول لنا الشرع على لسان الله إن من علامات رسلي كذا وكذا — أو أن يستدل العقل من تلقاء ذاته على صحة هذه المعجزة . أما الأول فمحال ، وأما الثاني فله مقدمتان : [1] هذا الرسول قد أظهر معجزة : [2] كل من أظهر معجزة فهو نبي — فصدر المقدمة الأولى الحس والتسليم بأفعال حقيقية (لا خيالية ولا وهمية) تظهر على أيدي المخلوقين لا بسحر أو شعوذة — وصحة المقدمة الثانية تبنى على الاعتراف بوجود الرسل في المقدمة الأولى وبالتالي كدمن حقيقة المعجزة وصاحبها . ويحمل ابن رشد على مبدأ جعل إرسال الرسل جائزاً في العقل — فإن الجواز جعل وتشكيك في المقدمة الثانية بجعل أن المعجزة يمكن الإحساس بها أو امتناع تصديقها — وباعث الرسول نفسه يمكن أن يكون زيداً أو عمراً — فمن طبيعة الجائز أن يكون أو ألا يكون — ونحن نسلم بطرف منه لأنه الذي حدث فعلا . بينما نجهل الآخر — وكون ما حدث من طرفيه قد كان أولى من الآخر يجعله بعد حدوثه ضروريا وواجباً . وهذا ما يريد ابن رشد ؛ فإن العقل حتى مع هذه الضرورة والوجود لن يأخذ المعجزة دليلا على الرسالة — مهما كان إلهياً — إلا بأن يعتقد أن مثل هذه الخوارق لا تحدث إلا من فاضل غير كاذب ولا ساحر . ويعمد فيلسوفنا بعد هذا إلى التطبيق على رسالة الإسلام ومعجزة القرآن — وكونها رغم أنها من جنس الأفعال المعتادة معجزة بنفسها لا بصرف الناس عن الإتيان بمثلها يعني أنها السهل الممتنع . ويحاول أخيراً إثبات صدق نبوة محمد (صلعم) بحجته من مبدءين : (١) تواتر الرسل قبله (٢) أن هؤلاء جميعاً يعلمون الناس بوحي . من الله وينتهي من تواتر وجودهم وصدق معجزاتهم إلى إثبات نبوتهم (٩٨ — ١٠٠) .

وعند بحثه المسألة الثالثة في القضاء والقدر (١٠٤) يبين أنها مشكلة عويصة تتعارض فيها دلائل السمع وحجج العقول . فمن الآيات ما يدل على أن كل شيء بقدر وأن الإنسان مجبور على أفعاله بينما هناك آيات توضح أن للانسان اكتسابا بفعله وأنه ليس مجبورا على أفعاله . وربما يظهر هذا التعارض في الآية الواحدة . ولهذا انقسم المسلمون إلى فرقتين : (١) المعتزلة التي اعتقدت اكتساب الإنسان لأفعاله (٢) والجبرية التي تناقضها بقولها إن الإنسان مجبر على أفعاله .

أما موقف الأشاعرة فكان كعادتهم دائما التوفيق بين الآراء فوافقوا أن للانسان كسبا ولكن المكتسب والكسب مخلوقان لله .. والإنسان بقولهم هذا لابد مجبور على اكتسابه . وهذا هو سر الاختلاف في هذه المسألة . فمع تعارض السمع تتعارض أيضا الأدلة العقلية ... فإذا فرض وخلق الإنسان أفعاله فمعنى ذلك أن هناك أفعالا لا تجري على مشيئة الله ، فكأن هناك خالقاً غير الله ، في حين أن المسلمين قد أجمعوا أن لا خالق غيره ... وإذا فرض أنه مجبور فلا وسط هناك بين الجبر والاكتساب .

لكن ابن رشد يرى أن الشرع إنما قصد الجمع بين الاعتقادين على التوسط إذ أن الأفعال المنسوبة إلينا إنما تتم بإرادتنا مع إرادة الله . . وبما الإرادة الاشوق يحدث لنا عن الأمور التي من خارج والتي سخرها الله . فأفعالنا تجري على نظام محدود لأنها مسببة عن تلك الأسباب التي من خارج . وهذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج والتي خلقها الله داخل أبداننا هو

القضاء والقدر . . الذى كتبه الله على عباده ولا يعلم بهذه الأسباب إلا الله وحده الذى عنده علم الغيب (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية . فبهذا يكون من الواضح أن لنا إكتساباً وأن جميع مكتسباتنا بقضاء وبقدر سابقين .

. . وتناول فى البحث الرابع مسألة الجور والعدل . وقد جاءت الأشعرية فى هذا الصدد بضدما صرح به الشرع فزعموا أنه إنما اتصف بالعدل والجور لمكان الحجر الذى عليه فى أفعاله من الشريعة . فمتى فعل الإنسان شيئا هو عدل بالشرع كان عادلا . . والضد صحيح . ومن ليس مكلفا فلا يوجد فى حقه فعل هو جور أو عدل . وذهبوا من ذلك أنه ليس ثمة شىء عدل فى نفسه أو جور فى نفسه، وهذا عند ابن رشد خطأ فاحش؛ لأنه لا يوجد خير وشر كل بذاته . . فكيف لا يكون الشرك بالله جورا ولا ظلما إلا من جهة الشرع ، وأنه لو ورد فى الشرع باعتقاد الشريك كان ذلك عدلا . . وهذا خلاف المسموع والمعقول وصدق الله حين وصف نفسه فى كتابه ونفى الظلم عن ذاته العلية [وما ربك بظلام للعبيد] أما قوله إنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا يحمل على معناه الظاهرى وإنما المراد المشيئة التى تهيىء قوماً للضلال بطبعهم وليس فى هذا جور ، لأن حكمة الله اقتضت أن يكون بعض الناس أشرارا بطبائعهم . . والأسباب المترتبة من خارج لهداية الناس قد تكون مضلة لبعضهم . وهو إنما خلق أسباب الضلال لأنه يوجد عنها غالبا الهداية . وإنما أراد الله بهذه الآيات المتعارضة أن يبين أنه خالق كل شىء الخير والشر . . لكنه يخلق الخير لذات الخير . ويخلق الشر من أجل الخير؛ وعلى ذلك يكون خلقه للشر عدلا منه ولعل مثال النار أصدق الأمثلة على صحة هذا القول .

ولكن شتان بين عدل الله سبحانه وتعالى وعدل الإنسان . فالإنسان يعدل ليستفيد بالعدل خيرا فى نفسه . . لكنه سبحانه وتعالى يعدل لأن ذاته تستكمل بذلك العدل بل لأن الكمال الذى فى ذاته اقتضى أن يعدل . .

أما المسألة الخامسة فى المعاد وأحواله . . اتفقت كافة الشرائع فى جوهر وجود المعاد وإن كانت قد اختلفت فى الصور التى مثلت بها للجمهور . . فمن الشرائع ما جعله روحانية للنفوس ومنها ما جعله للأجسام والنفوس معا .

اتفق إذن الكل على أن للانسان سعادتين أخروية ودنيوية . ولما كان الإنسان أشرف الموجودات ، وأنه ما من موجود قد خلق عبثا وإنما لغاية من أجلها وجد ، وأن غاية الانسان التى تميزه دون سائر الحيوان إنما تكون فى الحياة الناطقة ، فالنفس الناطقة جزءان جزء عملى وجزء علمى . ولأجل كمال الإنسان يجب أن يجمع هذين الجزئين الفضائل العملية والفضائل النظرية أى الخيرات والحسنات . وقد نصت الشريعة بتقرير هذه الأمور فعرفت من الأمور النظرية معرفة الله والملائكة والموجودات الشريفة والسعادة . إذا كانت النفوس زكية يتضاعف زكاؤها عند الموت . . وإذا كانت خبيثة زادت خبثا . . ولقد اتفقت الشرائع أيضا فى تعريف هذه الحال للناس وتسميتها السعادة الأخرى والشقاء الآخر . . ومن الشرائع ما لم تمثل لهذه السعادة وذلك الشقاء إنما صرحت بأحوال روحانية . . ومنها ما مثلت بالمحسوسات لتكون أشد تفهيما للجمهور فمثلت مكانا تنعم فيه الأجساد هو الجنة وآخر تقاد فيه الأجسام الشقية هو النار . . وذلك مثل شريعتنا الغراء فهى أتم إفهاما لأكثر الناس وأكثر تحريكا لنفوسهم لأن التمثيل الروحانى لا يثير نفوس الجمهور مع أنه يقبل عند المتكلمين المجادلين .

وبحسب فهم أصول المعاد ينقسم أهل ملتنا ثلاث فرق : الأولى رأت أن ذلك الوجود واحد بالجنس وإنما يختلف الوجودان بالدوام والانقطاع . . وأخرى اعتقدت بروحانيته . . وطائفة رأت أنه جسمانى غير أن الجسمانية تختلف عنها الآن لأن هذه باقية وتلك باقية . ولكن الكل مجمع على بقاء النفس (ص ١٢٣) وأن الله سوى بين النوم والموت فى تعطيل فعل النفس .

وقبل نهاية الكتاب نرى فيلسوفنا يعرج على ما يجوز تأويله شرعا وما لا يجوز . وهو يرى ألا يصرح بالتأويل وبخاصة ما يحتاج إلى برهان لغير أهله وهم القادرون على البرهان والاستدلال بالمنطق . فتمثيلنا للعامة نعيم الآخرة بالجنة وأنهارها وفاكهتها أجدى فى الحث على الفضيلة من أن نشككهم فى الجزاء المادى . وهو يرى أن من النصوص ما يجب على أهل البرهان تأويله وإلا كفروا . . كما يجب على العامة حمله على الظاهر وتأويله كفر

انتهى شرح الكتابين التحريرين

كمال دسوقي

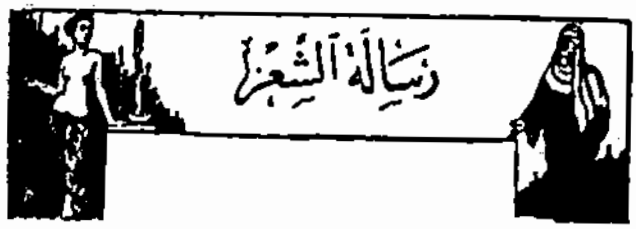

دمعة الحسناء

للاستاذ حسن كامل الصيرفى

دموعك أغلى من الأمنيات ... فصونى دموعك ياغاليـة !
ولا تحزنى للغيوم الثقال ... تمر بأجوائك الصافيـه
ولا تحسبى ظلمات الحياة ... تعقد أمواجها الطاغيـه
فشمسك تحلم فى خدرها ... ببهجة غدوتها الصاحيـه
ستنفض عنها خمول الدجى ... وتنهض سافرة لاهيـه
وترسل فوق عراء الوجود ... خيوط أشعتها كاسيـه
وتوقظ من غمرات السكون ... أمانيك الحلوة الغافيـه
وتختال فى موكب من ضياء ... يبدد أشجانك الداجيـه
صباحك ينبوعه القدسى ... يفيض على روحى العافيه
فكيف تظنين أن الظلام ... ستخلد رايته الساجيه ؟
يد الفجر تمقل ماترهبين ... وتطلق أطيارها الشاديه
وتمسح أعيننا الدامعات ... وتشفى جراحاتنا الداميه

. . .

رأيتك تبكين فى غشية ... من اليأس موحشة قاسيه
كأنك زنبقة فى الدجى ... تنظر أعداؤها الباكيه
فأحسست كف الظلام العتية ... تطفئ أحلامى الزاهيـه
وأحسست أناتك الشاردات ... ترجعها نسمة حانيـه
تمزق ستر الدجى والسكون ... وتقلق أنجمه الراعيه
وتبعث فى خفقات القلوب ... كوامن أشجانها الماضيه
فذودى عن النفس أشجانها ... تعيدى ابتسامتك الشافيه
وإن عبست فى السماء الغيوم ... فضى بأدمعك الغاليـه

فما قطرات دموع الحسان ... سوى سبحة الخالق السامية
إذا فرطت حبة من عراها ... تدك لها الأجبل الراسيه
وتغلق أبواب فردوسه ... وتنضب أنهارها الجاريه
وتسكت أطيارها الصادحات ... وتخفت أصداؤها الساريه !

غيـــوم

للاستاذ ابراهيم الوائلى

فى ظلال الكروم ترقد كأسى ... وعلى الشاطئين مشرق أنسى
ومع الطير والنسائم يمر حسن ... على الزهر بين لثم وهمس
كان أمسى معطر الأفق نشوا ... ن فيالى وبالأحلام أمسى
صور لا تزال تخفق فى قلبى ... وتنساب فى قرارة حسى
أتملى بها مع الفجر طيفا ... وأناجى ظلالها حين أمسى
أيها الغارس الكروم وحسبى ... منك فى الشاطئين أفضل غرس
سائل الظلم عن تهاويم روحى ... وتأمل على البراعم نفسى
كرمتى والضفاف والزورق الذ ... شوان يجرى مع النسيم ويرمى
والغدايرى وربة الشعر والأرغن ... والحالات فى ظليف عرس
عالم كان لى وعاد ضبابا ... يتراءى على مواكب يأسى
نغمة هومت مع الليل سكرى ... ثم أغضت على بقية جرس
وتلاشت مع الرياح وذابت ... ذوبان الندى بلفحة شمس

أين مغنى الهوى ... أين دنيا السمر ؟
أين تلك الضفاف ... حاليات الصور ؟
والربيع الوريف ... فتنة للنظر
وانعطاف الغصون ... دانيـــات الثمر
وائتلاق النجـوم ... فى ظلال القمر
والرحيق المذاب ... سهـلة للبشر

عالم كان لى واعى واندثر
جف دمع الكروم مات لحن الوتر

. . .

ماجنى الزهر فى البراعم حتى كفنته لوافح وسموم ؟
والطيور المغنيات فريعت وتلاشى الغناء والترنيم
وعرتها الشباك من كل فج فهى فى عالم الذهول تهيم
لاوكور تأوى إليها سوى الأشواك تدمى والخاطفات تحوم
مقفر يلتوى وينقض صديا ن وظمر وخلب محموم
يالدنيا من الجمال تعرت فاذا كل مابلوح وجوم

جفت العاصفات فانتثر الزهر وأغفت على الرمال الكروم
والغصون الملومات على النهر عراها الذبول والتحطيم
لا الينابيع مثلما كن بالأمس عذاب ولا النسيم نسيم
هجر الحقل شاعر الحقل واختا ل على أيكه غراب وبوم
وانطوى الفجر فى الضباب وحالت دون إشراقة الصباح غيوم
فاذا الأفق ساهم الوجه مكدو دكأن الصباح ليل بهيم

أين دنيا الهوى بابقايا الشباب ؟
هل لما قد مضى رجعة أو مآب ؟
فهزة العين حلمى تـــوارى وغاب
فى زوايا الربى فى السواقى العذاب
فى ارتعاش الكئوس فى غنـــاء الرباب
ومضـــة أشرقت فاحتواها الضباب
فاشبحى ياجفـون فى الدماء المذاب
إن دنيا المنى خفقة من سراب

القاهرة ابراهيم الوائلى

وزارة العدل

تعلن وزارة العدل فقـــد دفتر الزواج رقم ٢٦١٠٩٨ وبه عدد ٣٠ رصيدا ومستعمل منه عدد ١٥ رصيدا وبرانيتها عدد ٣٠ والباقى بدون استعمال عدد ١٥ رصيدا وبرانيتها عدد ٣٠
وكذلك فقد دفتر الطلاق رقم ٧٤١٧٤ وبه عدد ١٥ رصيدا ومستعمل منه عدد ١٠ رصيدا وبرانيتها عدد ٢٠ والباقى بدون استعمال وهو عـدد ٥ رصيدا وعدد ١٠ برانيات. عملية المرحوم الشيخ عبد المجيد حسن زايد مأذون ناحيـة شبيبة مركز أبو قرقاص .
وقـد أعتبرت الوزارة القسائم التى لم تستعمل ملغـاة فكل من تعرض عليه او عثر عليها بأى الطرق أن يعلم بأنها لاقيمة لها وأن استعمالها يعد تزويرا ويعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية ٤٣٥٤

ادارة البلديات العامة

تقبل العطـاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢١ — ٣ — ١٩٥٠ عن عملية تجديد وتوسيع شبكة المياه بالسنبلاوين وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة تمنة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليـه .

٤٣١٦

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة

كان يوم الخميس الماضي يوم وفاء المنصورة لابنها الذي أنجبته وأهدته إلى عالم الشعر والخلود ، شاعر مصر الراحل المغفور له علي محمود طه. فقد نظمت جماعة الأدباء هناك حفلا لتأبينه لم يكن مقصوراً على المنصوريين ، بل قصد إليه من القاهرة جمع من الأدباء والكبراء كما خفت إليه أسرة تحرير «الرسالة» في صحبة أستاذنا الكبير الزيات. وحججنا إلى البلد الجميل الذي أنبت صديقنا الفقيد لنلقى روحه الهائم على منبته ومثواه . وقد رأيت المنصورة لأول مرة فأحسست كأني آلفها من قبل كما أحسست عند أول لقاء للصديق الراحل. وقد عدنا منها وما يزال خيالها ماثلا في نفسي ، كما أن روح عزيزنا الشاعر سيظل خالداً في عالمنا خلود شعره وذكراه .

نظمت جماعة أدباء المنصورة حفل التأبين ، وأشرف عليه الأستاذ علي بك الحاكم رئيس الجماعة ومراقب التعليم بالمنصورة، وكانت مشاركة وزارة المعارف متمثلة في رئيس الحفل وكلمة معالي وزير المعارف وحضور الأستاذ أحمد خيري بك وكيل الوزارة وفي المكان نفسه وهو المدرسة الابتدائية ، وهي التي تلقى فيها الشاعر الفقيد دراسته الابتدائية .

بدىء الحفل — بعد الافتتاح بآي الذكر الحكيم — برسالة بعث بها الأستاذ علي أيوب بك وزير المعارف الأسبق، أبدى فيها الأسف لعوائق حالت بينه وبين الحضور ، وقال فيها : كان فقيدنا شاعراً بفطرته وطبعه ، أديباً بإحساسه المرهف وعواطفه الجياشة وذوقه الصافي ، إلا أن دراسته للهندسة قد تركت أثرها في أدبه وشعره ، ومن هنا كان شغفه بالموسيقى ونزوله على ما يقتضيه حسن الأداء وجمال التوقيع ، والموسيقى تمت إلى العلوم الرياضية بأقوى سبب، بل إن هذه العلوم هي أساسها الأول ودعامتها الكبرى . وكانت له ميوله السياسية واتصالاته الحزبية ، ولكنه أبى إلا أن يكون قومياً في شعره السياسي مثالياً فيما ينظم أو يقول .

وأشار الأستاذ الحاكم — في كلمته — إلى اعتزاز المنصورة بشاعرها الأصيل، قائلا إن روحه الفنية الخالدة لم تقبع في موطنه ، وإنما فاض سحرها على البلاد العربية وامتد إلى الغرب ، فعلي طه إنسان عالمي ، وسيظل شراعه الرمزي جائباً الآفاق إلى ما شاء الله .

وألقى الأستاذ عدلي الصيرفي كلمة سعادة عبد السلام فهمي جمعه باشا رئيس مجلس النواب ، وقد عبر فيها عن شعوره نحو صديقه الشاعر وأله لفقده .

وقام الأستاذ محمد سعيد العريان فألقى كلمة معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف ، قال فيها : آسف أشد الأسف لأن الظروف لم تتح لي أن أشهد اجتماعكم وأن أعرب عن حبي وإعجابي بالشاعر العظيم، وعن حزني وحزن الذين يتذوقون الأدب ويكلفون بالشعر الرفيع على فقده . وهي كلمة قصيرة تشبه الاعتذار بالبرقيات السخية . وقد كنا نود أن نسمع كلمة فياضة في علي طه من طه حسين عميد الأدباء ولكنا لم نظفر إلا بهذا الاعتذار العاجل والتقدير المجمل من معالي الوزير .. ونحن نكبر عميدنا أن نخليه من العتاب في هذا الموقف لعدم أداء ما كان يقتضيه ...

وتحدث الأستاذ أحمد حسن الزيات فتمثل في حديثه وفاء الصديق وجمال البيان مع وضوح الصورة التي رسمها الشاعر في عبارات موجزة موفية . وترى كلمة الأستاذ في صدر هذا العدد من «الرسالة»

وكان ختام النثر كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي ، قال : إن فقيدنا كان له إلى أحبابه المعجبين بشعره أحباب خصوم ، وإنه — الزحلاوي — كان من الفئة الثانية إذ خاصمه خصومة أدبية خلت من الشوائب . وليسمح لي الأستاذ الزحلاوي » وقد أشاد بالخصومة الأدبية وأثرها الطيب في الصداقة ، أن « أخاصمه » في بعض ما جاء بكلمته من قوله الشاعر « أحببته في خلائقه وسجاياه في مرحه وبوهيميته ... » فالكلمة الأخيرة ذات ظلال غير لائقة بالمقام .

وقد جنح الأستاذ إلى القضايا العقلية أكثر مما عنى بأن يندى كلامه بماء العاطفة، فجاءت كلمته غير خطابية . .

أما الشعر فقد ألقى منه ثمانى قصائد للأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعلى الجارم ومحمد مصطفى حمام والسعيد يوسف والدكتور عزيز فهمى المحامى ومحمد فهمى وعبد الغنى سلامه والدكتور سعيد أبو بكر. وقد دل الشعراء فى مجموعهم — لا جميعهم — على أن مكان الشاعر المحتفل بتأبينه لا يزال شاغراً.. فقد كان أكثر ما أنشدونا من الشعر الوسط وما دونه . .

أما قصيدة الأستاذ عبد الغنى حسن فهى جيدة ، منها قوله :

يأيها الملاح مالك لم تعد
الشاطىء المهجور بعدك مظلم
وقف الندامى فيه لم تهتف بهم
شفة ولم يضحك بسامرهم فم
يترقبون هناك عودة شاعر
قد لفه البحر الخضم الأعظم
وضعوا الأكف على العيون ليرقبوا
وتنظروك على الرمال وخيموا
لكنما طال المدى بوقوفهم
فاستوحشوا من يأسهم واستسلموا
قل للرفاق الحالمين تيقظوا
ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب
لا تحلموا بمجيئه لا تحلموا

وكذلك كانت قصيدة الفلال ، ومنها قوله :

على حسبك والذكرى مبرحة
أنى عجزت وعجزى فيك إكبار
يا فارس الشعر والجندول آنية
وجرسها فى مغانى الشرق سيار
ومالىء النيل آيات مخلدة —
كيف احتوتك ببطن الترب أشبار

ومنها :

ياملهم الطير حلو السجع كيف ترى
من بعد فقدك تحيى السجع أطيار
شبابيراعك كم فى الطرس أطربها
كأنه من فم القمرى منقار
وإن كان لا يعجبنى التشبيه
فى البيت الأخير ، فالشاعر حقاً يكتب بشبابيراعه ولكن القمرى
هل يغنى بمنقاره . ؟ —

على هامش الرحلة :

ركبنا بعد انتهاء حفلة التأبين ودفعنا إلى قصر الأستاذ عميد الرسالة بضيعته القريبة من مدينة المنصورة . وان علينا فى أول الأمر وجوم من ذكرى الفقيد الذى رحلنا للمشاركة فى تأبينه . ولكن كان معنا الأستاذ — محمد مصطفى حمام ... وكيف يكون معنا حمام ولا يتبدل هذا الحال ؟ هذا الأستاذ الزيات الذى كان يغالب دموعه وهو يلقى كلمته فى الحفل لم يلبث أمام غمزة حمام الفكاهية أن استسلم ونشط للايناس ، وزادت بشاشته إذ حللنا داره .

تشكول الأسبوع

□ وافق مجلس المجمع اللغوى فى جلسة الأثنين الماضى على نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ٥٠ التى قررتها لجنة الأدب بالمجمع ، وقرر أن يحتفل بتوزيع الجوائز فى الأسبوع الثالث من مارس الحالى . وتمنح الجوائز كما يلى : ٢٠٠ جنيه لكل من أحمد أحمد بدوى و عبد السلام هارون الأول عن بحثه فى « رفاعة الطهطاوى » والثانى عن تحقيقه كتاب « الحيوان » و « مجالس ثعلب » و ١٠٠ جنيه لكل من طه الحاجرى و بنت الشاطىء ، الأول عن تحقيق « البخلاء » و الثانية عن تحقيق « رسالة الغفران » ونلاحظ أن الجوائز كلها منحت لإحياء كتب قديمة وليحث أدبى واحد . أما القصص فقد رؤى أن ما قدم منها لا يستحق الإجازة .

□ أصدر معالى وزير المعارف قرارا بتشكيل اللجان الثلاث التى ستتولى فحص الكتب التى تقدم لنيل جائزة فؤاد الأول للآداب والقانون والعلوم فى سنة ١٩٥٠ . ولجنة الآداب مكونة من : على عبد الرازق (رئيسا) و ابراهيم مصطفى و أحمد أمين و أحمد حسن الزيات و أحمد زكى و عباس الجمل و عبد الحميد العبادى و محمد توفيق دياب و محمد خلف الله احمد و محمد عبد الواحد خلاف و محمد عوض محمد و محمد فريد أبو حديد و منصور فهمى — أعضاء . ويتولى سكرتارية اللجنة محمد عوض ويعاونه على أدهم ومحمود الخفيف . ومقدار الجائزة ٣٠٠٠ جنيه ألف جنيه لكل من الآداب والقانون والعلوم ، وتوزع على الفائزين فى احتفال كبير يقام فى الجامعة يوم ٢٨ أبريل القادم .

□ يسعى الأديب العربى السائح الأستاذ محمد على الحومانى لدى الحكومة المصرية لتنشىء مدارس لأبناء المهاجرين المسلمين فى الولايات المتحدة لتثقيفهم بالثقافة العربية الإسلامية وهو يواصل هذا السعى منذ ثلاث سنين ، وقد قدم أخيرا من أمريكا إلى مصر فى طريقه إلى لبنان ، وأخذ يتصل بالمسئولين وخاصة الدكتور طه حسين بك وزير المعارف . ومما يذكر فى هذا الصدد أن سفير مصر فى نيويورك كامل عبد الرحيم بك افتتح — بعد أن اطلع على تقرير كتبه الأستاذ الحومانى — أن يبنى جناح خاص فى مسجد واشنطن لتنفيذ الفكرة .

□ استدعى الأستاذ زكى طليمات برسالة برقية من شمال افريقيا حيث كان يرافق الفرقة المصرية فى رحلتها الفنية هناك . وذلك للعمل على تكوين الفرقة النموذجية التى قرر وزير المعارف إنشاءها من خريجى معهد التمثيل العالى . والأستاذ زكى طليمات عميد المسرح المصرى — يعمل منذ سنوات على إخراج فكرة هذه الفرقة إلى حيز الوجود ، لإنهاض الفن المسرحى وتجديده بعناصر من الجيل الجديد الذى يتلقى فن التمثيل علميا وعمليا مع ثقافة شاملة . وستضم الفرقة الجديدة بعض الممثلين الكبار إلى جانب خريجى المعهد الشبان ، على أن يراعى فى الاختيار الشخصيات المتماسكة الخلق المتازة فى الفن .

جعل حمام يحدثنا حديثاً عجباً من كل لون ! ولكنه أفاض في الرواية عن جماعة من الظرفاء تميزوا بطابع خاص أو كان لكل منهم طابعه الخاص ، ولكنهم يجتمعون في صفة مشتركة هي غزو مجالس الكبراء وكسب مودة هؤلاء وعطفهم ورفدهم بما يألفون من الملح وما يحسنون من الدعابة وأساليب التهريج ، من هؤلاء من مات كالشيخ عبد الحميد النحاس ومنهم لا يزال على قيد الحياة. ولا شك أن حياة هؤلاء جديرة بالكتابة عنها فهم يمثلون لوناً يشبه ما ذخرت به كتب الأدب من أمثال «الأغاني» و «العقد الفريد» وغيرهما ، وللكتابة عن هؤلاء المعاصرين قيمة خاصة من حيث ملابساتهم العصرية واتصالاتهم برجالات العصر الحديث ، وما يقترن بذلك من مفارقات وطرائف في الأدب والسياسة والاجتماع. وقد أشرنا على حمام أن يكتب هذه الذكريات ويجمعها في كتاب أو كتب ، ولكنه يقول : يخيل إلي أن الحديث عنهم لا يحلو إلا شفوياً . والواقع أن حمام يتقمص الشخصية التي يتحدث عنها ويضيف إليها نفسه .. فإذا حكى أن فلاناً قال فالقائل هو حمام !

وإذا رأى أن ما يقصه لم يحدث في المجلس التأثير المطلوب ارتجل ما يصل به إلى ما يريد من التأثير ناسباً إياه إلى من يتحدث عنه ! فهو وضاع فنان لا يشق له غبار ..

وكذلك كان الرواة والمؤلفون في القديم على ما يخيل إلي . فأكثر ما نقرؤه من قصصهم ونوادرهم موضوع ، لم يقصد به الكذب وإنما قصد به الفن . ولك أن تعتبره خيالاً على نحو الواقع ، يشبه في ذلك فن القصص المصري .

ونعود إلى حمام وطرائفه التي أغرقنا في سيلها المتدفق . حكي عن أولئك الظرفاء أنه التقى في بلده بإمام المسجد ، فرآه يحمل بعض العنب في قرطاس ، فبادره بقوله : ما هذا يا مولانا ؟ عنب ! ولماذا لم تشتر بطيخة بدل هذا العنب؟ ألا تعلم ما للبطيخة من مزايا لا توجد في العنب أو غيره ؟ إنك عند ما تقصد إلى الفكهاني لشراء البطيخة ، يقف لك في احترام وتقلب أنت البطيخ، فيراك الناس فيقبلون يجاملونك بانتقاء بطيخة جيدة ، وبعد الشراء يأمر الفكهاني صبيه ليحملها وراءك وقد يتطوع لذلك أحد الناس وقد يكون من وجهاء البلد . وفي هذه الحركة مظاهرة ذات شأن ، إذ يعلم الناس أن الشيخ قد اشترى بطيخة ! فأين من هذا أقة العنب التي تأخذها وتذهب لا يدري بها أحد ...

وإنه لمن الوجاهة أن تسير وشيخ البلد يحمل لك البطيخة . وعند ما تقترب من باب الدار تنادي : يا ولد ! تعال خذ البطيخة . وتلتفت إلى حاملها قائلا بأعلى صوتك : تفضل ! والله تفضل ارلا تخش شيئاً فإنه لن يتفضل . وبذلك يسمع الجيران ويعلمون أن الشيخ كريم يدعو بعزم شديد ، كما يعلمون أنه يبر أولاده فيشتري لهم البطيخ .. وتدخل البطيخة الدار فيهرع إليها الأولاد ، هذا يركلها ، وذا يدحرجها ، وذاك يزاحم أخاه عليها ، وذلك يصيح: بابا أتى ببطيخة ! وأنت من وراء ذلك كله تنظر مغتبطاً، ثم تصيح: هاتوا السكين ! ويكون قطع ثم قضم ونحت. ويبقى القشر واللب فالأول تقطعونه للدجاج أو تتفضلون به على دجاج الجيران، والثاني تجففونه وتقلونه وتتسلون به أنتم وضيوفكم نحو أسبوع ... وهكذا تقضون أسبوعاً حافلا بالمرح والمسرة جديراً بأن يسمى «أسبوع البطيخة» فيا سيدنا الشيخ أين من هذا كله أقة العنب التي يلتهم كل منكم حبات منها فتذهب في الجال لا يبقى لها ذكر ولا أثر ؟ !

وشملت طرائف حمام نوعاً من الناس تراه ظافراً مقدماً عند الكبراء وغيرهم، ولا مزية لأحدهم ظاهرة ولا كفاية تبرر ما يلقونه من نجاح وتقدير ، هذا أحدهم في مجلس رجل من رجالات الدولة يقول له صاحب المجلس وهو يعلم أنه لا يحسن شيئاً مما يطلب منه : أنشدنا قصيدة من شعرك .

— لست شاعراً

— قل لنا زجلا

— لا أقول الزجل

اقرأ لنا ما تيسر من القرآن الكريم

— لست من أهل القراءة

فيقول الكبير : إذا كنت لا تنظم الشعر ولا الزجل ، ولا تقرأ القرآن مع ما أنت عليه من زي علماء الدين ، فبأي حق تجلس معنا ، يا .. .. وما بعد «يا» هو المزية التي من أجلها يجالس صاحبنا في مثل ذلك المجلس !!

وقد أعدى حمام بقية الإخوان ، فصار الجميع يتسابقون في الدعابة والتندر . كنا في حديقة المنزل نمتع الأنظار بمرأى الأشجار

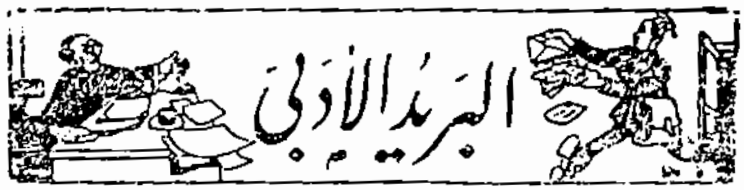

الى الاستاذ كامل محمود حبيب

أنا يا سيدى من المعجبين بما تكتب وما تنشر ، وقد ازداد إعجابى بهذه الصور التى ترسمها ريشتك السامرة على صفحات الرسالة الغراء ، والتى تنقلها من صميم الحياة والواقع .

غير أن قصتك الأخيرة «خيانة امرأة» كانت من غير الواقع أو هكذا خيل إلى ، فقد تحدثت فيها عن مأساة رجل أحب فتاة مثقفة وتزوجها ، ثم ساوره الشك فى إخلاصها له فراقبها ، ويروى لى قصة اكتشافه لخيانتها بقوله « ومرض رئيسى يوماً فتثاقلت رفاق فى المكتب ، وتسللت من الديوان ، تسللت لأجد زوجتى فى دارى تجلس إلى رجل غريب على سريرى فى حجرة نومى ، وأفزعنى المنظر ، فصرخت من أعماق قلبى « آه ! المرأة المتعلمة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع فى شباكها ثم لا تلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه . وخرجت من الدار وقد ضاقت الأرض على بما رحبت وضاقت على نفسى ... »

وجاء إليك ينشد الحل فعرضت مشكلته على قرائك . أريد أن أسألك أهذه القصة من واقع الحياة ؟ وهل هناك رجل يرى زوجته مع رجل غريب على فراشه . فلا تظهر آثار رجولته وغضبه إلا فى خطاب يخاطب فيه نفسه بكلام يشبه الفلسفة ؟ أهذا الرجل فى الشرق أم فى الغرب ؟

السيد جليل السيد ابراهيم

بصره . عشار

إلى سيدى وأستاذى كامل الدسوقى

كم كنت أتمنى أن يكون لى بيان الأدباء ، وأسلوب الشعراء فأنظم لك من كلماتى تاجا رقيقاً أضعه فوق رأسك المفكر !

لقد كان لمقالاتكم القيمة أكبر الأثر فى نفوسنا النضة فأقبلنا على مسابقة الفلسفة بقلوب متعطشة بعد أن غرست فى نفوسنا حب الفلسفة . وقيمة البحث والاطلاع .

وبالرغم من قيمتها العلمية الثمينة فقد كانت تحوى توجيهات كريمة وإرشادات نافعة ، وحثا على التعمق فى البحث . وكم كان جميلا حقاً أن توجهنا إلى المسابقة وتجعل لنا أسوة حسنة فى فيلسوفنا العظيم لطفى السيد باشا إذ كان وزيراً للخارجية ولم تشغله مهام منصبه عن التعمق والتأليف . لقد كنت أنت نعم القدوة الحسنة ؛ فأنك إلى جانب تأديتك تلك الرسالة النبيلة . وهى التعليم لا تألو جهداً فى التعمق والبحث وتأليف تلك الدرر الثمينة فى عالم الفلسفة ! فجاء بحثك يا سيدى قيما للغاية بعد أن نفخت

والأزهار ، ولكن الأستاذ حبيب الزحلاوى — وهو إلى أدبه تاجر حديد — لا يرفع طرفه عن «ماكينة» ملقاة فى أحد الأركان ، كل منا يسأل عن هذه الشجرة أو تلك الزهرة ، أما الأستاذ الزحلاوى فيسأل عن «الماكينة» فيبادره الأستاذ أنور المعداوى : لماذا تسأل عنها ؟ ... أتريد أن تشتريها ؟ ويبدى لأستاذ كامل حبيب رغبته فى شراء «ماكينة» مثلها فينعم الأستاذ الزحلاوى فيها النظر كأنه يريد أن يشتريها ليبيعها للأستاذ كامل !

وتمر به « كوبرى » المنصورة ، فيتأمله الأستاذ الزحلاوى ويبدى ملاحظات عليه ، فيقول له الأستاذ الزيات : أتريد أن تشتريه ؟ وهذا «الكوبرى» يسير القطار من فوقه ، فمن يشتره يكن القطار داخلا فيه ، وبذلك يبذ من يشترى الترام !

ولا ينى الأستاذ الزحلاوى عن النظر إلى ما يصادفنا فى الطريق من الآلات الحديدية والتحدث عنها .. فيقترح عليه الأستاذ الزيات أن يبادل الأستاذ نقولا الحداد اسمه الثانى فيصير اسمه «حبيب الحداد» بعد استئذان الأستاذ نقولا الزحلاوى ...

عباس خضر

فيه من روحك الوثابة ، ونفثت فيـه عصارة عقلك الجبار وحيويتك المتدفقة .

ولن أطيل الكلام يا سيدى ، فإنك فوق أن تمدح ، وفوق أن يثنى عليك . وإذا كان النهار فى حاجة إلى دليل كان فضلك وعلمك فى حاجة إلى بيان .

فاليك أتقدم بتلك الهمسة من شكرى وتقديرى . ويكفيك فخراً يا سيدى أنك خلقت عقولا ناشئة تسمو إلى الرفعة وأوجدت نفوساً متعطشة للبحث .

المنصورة — فوزية مهران عيسى

طالبة توجيهى

عبرة مستمدة :

أنشئ من نحو عامين بمدينة الأقصر مسجد من أضخم المساجد وأعظمها رونقا وهو تحفة نادرة المثال ، فقد تواءمت فيه قداسة الدين وروعة الفن فكان آية ناصعة تنم بوضوح عن سمو ذوق منشئيه سواء من اختمرت الفكرة فى نفوسهم ومن ابرزوها فى عالم الحس ، والعيان فهم جميعا احرياء بالشكر جديرون بأبلغ الحمد والثناء . ولئن كانت مدينة الأقصر عريقة بمظاهرها الفخمة وآثارها العظيمة ومعابدها الكثيرة وذكرياتها الحافلة بالمجد إلا أنها قد ازدانت بهـــذا المسجد وازدادت به روعة وجمالا ، وذلك المسجد على ما به من مهابة وقداسة وما اجتمع إليه من جلال وبهاء ، معطل لم تقم فيه شعيرة من شعائر الدين ؛ لأن جهات الاختصاص تتهرب عنه وتتبرأ منه ، فوزارة الأوقاف لا تقبل الأشراف على إدارته لأنه لم تحبس عليه أعيان تفى غلاتها بنفقاته ولا شىء من ذلك . ووزارة التجارة والصناعة وهى التى انشأته وانفقت فى سبيل إنشائه نحوا من أربعين ألف جنيه لا تقبل أن تتحمل نفقات أدارته ؛ وحسبها فيما يقال أنها أنشأته وأضافت به إلى مدينة الأقصر مظهراً من مظاهر التجميل والتحسين . ولقد أصبح هذا المسجد حيران متعطلا يقرض عنه وزارة الأوقاف والخيرات ، وتجفوه وزارة التجارة والصناعة وهى امه التى انشأته وتربى فى كنفها وتولته بالرعاية ، فلما اكتمل بناؤه واستقام صرحه برمت به وتنكرت له فما أحوجه للعطف والرثاء ! !

فهل من يدبره رحمة تنقمة هذه من حيرته ؟ وهل من نفس خيرة عامرة بالأيمان يهدهدها ويؤثر فيها ويثيرها للخير قوله تعالى « أنمـــا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » الوحى الوحى والبدار البدار لخير الدار عاجله والسلام

على ابراهيم الفضيلى

الأقصر

نشر مخطوطة — تاريخ الموصل

علمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية أن المجمع العلمى العراقى ببغداد قرر نشر مخطوطة تاريخ الموصل لابن زكريا بن محمد المعروف بابن إياس الازدى . وقد باشر فعلا بإعداد المسودات للطبع . وهذا الكتاب من الكتب القيمة التى تظهر نواحى مفيدة من تاريخ مدينة الموصل تلك المدينة التى كان لها شأن ثقافى وسياسى مهم .

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

شيطانية امرأة

للأستاذ كامل محمود حبيب

طوت (عليه) أيام الطفولة ، أيام كانت تلهو وتلعب فى منأى عن قيد التقاليد ، أيام كانت تمرح وتمزح بعيدة عن غل الدار ... طوت هذه الأيام فأخذت تشعر بدم الشباب يفور جياشاً فى عروقها فيضطرب أمنية فى قلبها ، ويلمع جمالا فى خديها ، ويتألق حياة فى خاطرها ، فامتدت يدها الغضة ترتب شعرها الفاحم السبط على نسق جميل جذاب ، وامتد ذوقها الفنى إلى الأصباغ والعطر تتأنق فى الاختيار وتتفنن فى التطرية ، وامتد خيالها إلى الثياب يخصها بعناية منه وفن ؛ وأبوها رجل فيه الثراء والبذل . فبدت الفتاة فى روعة الجمال وجمال الذوق وسمو الفن وخفة الظل ، فتناهبتها الأبصار والقلوب وهى فى شغل لا يعنيها إلا أن تكشف عن زينتها ورواءها لتسمع كلمة إطراء تنفث فيها النشوة أو عبارة مديح تبعث فيها الغرور

وجلست (علية) حيناً إلى المرآة تحدثها وتستشيرها ، ولكن قلب الفتاة الطموح كان يرنو إلى ما وراء المرآة ، فالبثت أن ضاقت بحديث المرآة فامتد بصرها إلى النافذة تريد أن تفزع من وحدة الحجرة إلى أنس الشارع ، فما راعها إلا أن ترى فى النافذة المقابلة شابا يجلس إلى المرآة يحدثها حديثاً ضاقت هى به . . . يحدثها حديثاً طويلا لا يحس فيه الملل ولا الضيق ، فتعلق به بصرها... والتفت الشاب فرأى الفتاة تحدق فيه فبدت له فى روعة الجمال وروعة الزينة ، فتعلق بها بصره

وأحست الفتاة فى نظرات الشاب معانى تشبع نهم غرورها وتطفىء غلة أنوثتها ، فاطمأنت إلى ابتسامته وسكنت إلى تحيته ، وراحت تبادله ابتسامة بابتسامة ، وتحية بتحية ؛ وبينهما من الشارع ومن التقاليد حجاب لا يستطيع واحد أن يظهره

لقد كان (بهاء) شاباً فى زهرة العمر وجمال الحياة ، يتأنق دائماً فى زينته وفى لباسه ، وكان لا يحس وطأة الحياة ولا يضيق بتكاليف العيش رغم أنه موظف صغير فى الحكومة لا يبلغ راتبه الا بضعة جنيهات ؛ فهو أعزب ، يسكن حجرة ضيقة رخيصة لا تنضم إلا على فتات من الأثاث ، وهو يقنع بالوضيع من الطعام والتافه من الشراب ليوفر لنفسه زينتها وألقها ، وهو يعيش على نهج الصعاليك من العزاب لا يعنيه إلا أن يبدو أمام الناس فى الغالى من اللباس ولا يشغله إلا أن يستمتع بالرخيص من المتعة. ولطالما جلس إلى المرآة يهيىء نفسه للشارع مثلما تفعل فتاة لا هم لها إلا أن تفرط فى الزينة أو تبالغ فى التطرية . فلما رأى (علية) ترمقه من خلال النافذة تعلق بها بصره وتشبث بها قلبه

وانطوت الأيام والفتاة تغدو وتروح إلى النافذة ترنو إلى فتاها من ثنايا الشباك ، والفتى لا يبرح مكانه بإزاء الشباك كأنه جدار أسند إلى جدار . وضاقت الفتاة بهذا الستار الكثيف المسدل بينها وبين فتاها حين أحست بهوى الشاب يتسرب إلى قلبها فى رفق ولين ؛ وطمعت أن تجلس إليه ساعة من زمان علها تسمع منه أنشودة من أناشيد الغزل الذى يصبو إليه قلب كل أنثى، أنشودة يوقعها شاب على أوتار قلب فتاة ؛ أو تطرب إلى لحن من ألحان الغرام يترنم به فى رقة فتنتشى له عواطفها وتهتز مشاعرها.. ضاقت الفتاة بهذا الستر فدست إليه من يدفعه إلى أن يتعرف إلى أخيها الأكبر فيجد السبيل إلى الدار ... إلى (علية) ، وتستطيع هى أن تراه وأن تجلس إليه على حين غفلة من أهلها

ومرت الأيام فاذا (بهاء) صديق أخيها الأكبر ، يزوره أصيل كل يوم ويرافقه فى نزهاته ويعينه على حاجاته ، وسعدت الفتاة بما كان وسعد الفتى

وطارت الشائعات تقول إن (عطية) قد خطب (علية) إلى أبيها

وعطية فتى من ذوى قرابتها خشن الجس قوى الأركان وثيق التراكيب ، وهو عامل فى مصنع ، يقضى نهاره فى الجهد العنيف لقاء دريهمات لا تسد خلة ولا تدفع غائلة . ولكن والد الفتاة رضى به زوجاً لابنته . وما كان للأب أن يرد فتى من ذوى قرابته يبذل غاية الطاقة ويستفرغ منتهى الجهد ليكسب قوت يومه ، فهو نفسه نشأ — فى صباه — نجاراً صغيراً بمانى شظف

العيش وشدة الفاقة ، فما زال برغم نفسه على الدأب ويحملها على الجد حتى أصبح الآن — صاحب (ورشة) كبيرة تدر عليه الآلاف والآلاف .

وجاءت الأم تزف البشرى إلى ابنتها (علية) وفى رأيها أن الفتاة ستهتز للخبر فرحاً وتطير له حبوراً ، ولكن ما راعها إلا ان ترى فى ابنتها الاباء والرفض ، وإلا أن تلمس فيها روح الكراهية والبغض ، وإلا أن تشهد وقع الخبر عليها عنيفاً قاسياً . وكيف ترضى الفتاة الدلالة بهذا العامل الفقير وهى تراه يدلف إلى الدار فى ثياب مهلهلة قد لوثتها آثار العمل وعاثت فيها يد الأقذار ، فإن حاول أن يتأنق فى لباسه بدا مضطرباً يختلج فى ثياب فضفاضة لا تتسم بسمة من الذوق ولا سمة الفن ؟ كيف ترضى به ومن أمامها (بهاء) وهو فتى رقيق جذاب يتألق فى شعره المرجل الفاحم وفى عطره الفواح وفى رباط رقبته الزاهى وفى بذلته النظيفة المتسقة وفى حذائه اللامع وفى حديثه الرقيق وفى ...

وحاولت الأم جهدها أن تحمل الفتاة على أن تنزل عند رأى أبيها أو تلقى السلم لرغبة ذويها ، فما أفلحت ...

وجلست الفتاة — ذات يوم — إلى فتاها ، تقص عليه قصة عطية وتستثير همته ورجولته وتنفث فيه سموم الأنثى عبرات تتدفق حرى وباردة على خديها لتدفعه إلى غاية . وأسهل الفتى وانقاد فتقدم إلى أبيها يخطبها فما تأبى الأب ولا تعوقت الأم . وخرج (عطية) من الدار يجرر أذيال الخيبة ، وفى قلبه حسرة ما تنطوى .

* * *

وتعاقبت الأيام تشيد داراً صغيرة يسعد فيها زوجان وثلاثة أطفال .

وشعر الزوج (بهاء) بأن حاله قد استحالت إلى أخرى فهو لا يطمئن إلا إلى جانب زوجته ، ولا يهدأ إلا إلى جوار أطفاله ولا يسكن إلا فى كنف الدار ، غير أن أمراً واحداً كان يحز فى نفسه فيمكر عليه صفاء الدار ويسلبه رونق السعادة بالزوجة والولد ؛ أمراً واحداً كان ينزع عنه — دائماً — القرار والهدوء : فهو كان يشعر بضيق ذات يده يمسكه عن أن يسد حاجات الدار وعن أن يشبع رغبات المدرسة . لطالما أصابه العنت والضيق مما يحس من فاقة وعسر ، ولكن زوجته كانت تسرى عنه بعض آلامه بكلمات جوفاء لا يلمس فيها روح التضحية ولا معنى الوفاء

وأخذ الغلاء يطحنه بين فكين من جفاء وقسوة ، فجذب ابنته الكبرى من المدرسة لتعمل ممرضة فى مستشفى فما أفاد شيئاً ، وشمر كأن عيوناً كثيرة ترمقه شزراً وكأن قلوباً حبيبة إلى نفسه تخفق بالازدراء والاحتقار ، فضاقت عليه الدار بما رحبت وتبخرت السعادة من أركانها ، وتألق الهم فى فوديه شعرات بيضاء لامعة وارتسم الأسى على جبينه خطوطاً غائرة . وعز عليه أن يبدو أمام أحبائه بمظهر البائس بالضعة والعجز ، فامتدت يده إلى أموال الدولة تختلسها ليسد خلة أو يوفى ديناً .

وتيقظت عين الحارس على يد تمتد فى صمت فكبلها بالحديد، وساقها إلى ساحة القضاء؛ وجاء القاضى يمجد الأمانة ويقضى عن الشفقة ، ويطرى العفة ويتناسى الرحمة .

آه ، لك الله أيها الأب المسكين ! لو استطعت — فى عجزك — أن ترد سغب ابنائك بقطعة يجتزها من لحمك لقدمتها لهم فى رضا وهدوء ! ولو استطعت — فى ثائتك — أن تطفىء غلة صغارك بسيل من دمك لدفعته إليهم فى غير وناء ولا بطء !

ولكن القاضى تكلم بلسان القانون الذى كتبه رجل ، فسجن الأب ليذر من خلفه زوجة وثلاثة أبناء لا يجدون العون إلا فى دريهمات قليلة هى راتب الابنة الكبرى . دريهمات لا تغنى من جوع ولا تسمن من عرى .

* * *

ورأت (علية) الهاوية من أمامها توشك أن تبتلعها هى وأبناءها حين تداعى مستقبل زوجها وانهارت كرامته وتحطم شرفه ، فجلست إلى نفسها وإلى شيطانها ساعات تتلمس الرأى وتحتال إلى الخلاص ، فما برحت مكانها حتى انفرجت الغمة عن فكرة

وعند الصباح انفلتت المرأة من الدار فى زينتها إلى (عطية)، الخطيب الذى خرج من دارها — يوماً ما — يجرر أذيال الخيبة وفى قلبه حسرة ما تنطوى ... لقد تمنعت عليه يوم أن كان عاملاً فقيراً تقتحمه العين وتزدريه النفس . أما الآن فلقد أسبغ الجد عليه من فيضه وحبته الحرب من فضلها فأصبح يرفل فى النعمى والنعيم ويسعد بالجدة والثراء .

ورأى الرجل (علية) فهم بستقبلها وعلى شفتيه ابتسامة وفى قلبه نبضة . وجلس الرجل إلى المرأة والشيطان ، فاهمت من مكانها حتى كان قد استيقظ فى قلب الرجل هوى قديم كان قد غمره اليأس فطوا فى زوايا من النسيان

وفى مساء اليوم التالى وقف (عطية) أمام المرآة ينفض عنه غبار العمل وينزع إلى الزينة والعطر، وقد بدت عليه سيما النشاط والشباب، وفاضت على وجهه علامات المرح والسرور، ثم انسل خفية إلى دار التى أحب ... إلى دار علية

وغبر الرجل زماناً يختلف إلى دار (علية) يحبوها بالجزل من من العطاء والغالى من الثياب والفاخر من الطعام، لايدخروسعا فى أن يتلمس رضاها ويتوخى فرحتها، على حين قد فرغت داره منه ومن عطفه فى وقت معا

وأحست المرأة بالرجل يندفع نحـــوها فى حماقة وطيش، فأرادت أن تمكر به رويداً رويداً، فجلست إليه فى ساعة من ساعات النشوة والمرح تحدثه قائلة «لست أدرى كيف أشكر لك فضلك، ياحبيبى، وأنت قـد غمرتنى بنعمة منك سابغة، فما استشعرت فقد الزوج ولاغيبة العائل» فقال الرجل لا «عليك، فإن منتهى أربى أن أفوز برضا قلبك أوأن أظفر ببعض عطفك» قالت «أو تشك فى إخلاصى لك وحبى؟» قال «لا، أبداً!» قالت «وأنا قد علقتك ولا أخشى إلا أن تمتد الأيام القـاسية فتضرب بيننا بحجاب لا أستطيع أن أنفذ منه ولا تستطيع أنت» قال «أما أنا فإنى أحس بعاطفة جارفة تجذبنى إليك فلا أستطيع عنك صبراً» قالت «ولكننى أخشى الأيام وأحس بهاتوشك أن أن تفرق بيننا» قال «وكيف» قالت؟ أو نسيت أن زوجى على وشك أن يخرج من السجن» قال «ولكننى لاأستطيع عنك صبراً» قالت «إذن فلا مفر من أن نلتمس الوسيلة إلى لقائنا دون أن يتطرق الشك إلى قلب زوجى» قال فى غفله «وكيف السبيل؟» قالت فى مكر «لا سبيل إلا أن تتقدم ـ الآن ـ فتخطب ابنتى الكبرى» فأطرق الرجل يقلب الرأى ولكن المرأة عاجلتـه فى دلال «وإذ ذاك تستطيع أن تدخل الدرمتى شئت وأن تجلس إلى فى غير ريبة ولا شك» وأطرق الرجل مرة أخرى وإن عقله ليدفعه عن الفكرة وإن قلبه ليجذبه إلى المرأة التى أحب، غير أن المرأة استمرت فى حـــديثها «ولا ضير عليك إن فرغت إلى دارك وأولادك، وستجد فى هذه الخطة ستاراً يداريك هنا ولا يفزعك عن دارك» ثم مالت إليـــه فى خفة رشوق وهى تقول «فما رأيك؟» وأحس الرجل بعطر المرأة يخطف عقله ويسلبه قلبه فقال «لابأس، فأنا أوافق» وسميت الفتاة على رجل فى سن أبيها وترامى إلى الفتاة حديث أمها العاشقة فثارت ولكن الأم هرت فيهـا هريراً منكراً أفزعها فاندفعت إلى حجرتها تبكى خطها العاثر

وخرج الزوج من السجن فما وجـد مناصاً من أن يلقى السلم إلى زوجته فبارك الفكرة وفى زايه أنه سيجد فى زوج ابنته عوناً على لأولاء الحياة وغلظة العيش

ومكرت المرأة بالرجل مرة أخرى فإذا هى تستنزف ماله فى غير رحمة ولا شفقه لتدخره لنفسها، وإذا هى تختله عن زوجته وأولاده رويداً رويداً لتستأثر به من دونهم، وصرفته عن عمله، وأرغمته على أن يقتر على زوجته وأولاده

ثم جاء الزوج يستحث الرجل على أن يخطو خطوات فساح فى سبيل إتمام مراسيم الزواج فأبى ولا تمهل وجاءت المرأة تمكر به ـ مرة أخرى ـ فطلق زوجته وطرد أولاده، فكان له ـ كرأى الزوجة ـ أن يتزوج من ابنتها الفتاة الآسرة الجميلة وهو زوج ورب أسرة، فيضربها بالضرة ويقتلها بالغيرة.

ياعجبا! لقد ارتدع الرجل فى محاة الجريمة حين أسلس وانقاد إلى امرأة من بنات حواء. لقد كان يصحو من غفلته ـ بين الحين والحين ـ فيعقد العزم على أن يحطم قيداً كبلته به هـذه المرأة فيعود إلى عمله، إلى داره، إلى زوجته، إلى أولاده، ولكنه كان يعجزه أن ينسى ما ذاق إلى جانبها من لذة الحياة ومتعة النفس، فيهى عزمه ويضعف جلده

وأرهقت المرأة زوج ابنتها المزعوم بتكاليف الزواج فما استطاع أن يشبع نهم المرأة التى سلبته كل ماله ... سلبته كل ماله فى فى نزوة من نزوات الحب الآثم. وجلس إليها ـ فى خلوة ـ ينفض أمامها جملة حاله ويثير على عينيها عجزه وضيق ذات يده ويطلب إليهـا ـ فى رقة ولين ـ أن تخفف من طلباتها فثارت به ثورة جارفه، وطردته من دارها وهى تقول «ماأحمقك أيها الغبى! أفكان لى أن أزوج ابنتى الفتاة الرشيقة الناعمة إلى رجل عجوز مفلس مثلك؟»

طردته بعد أن استنزفت كل ماله، وبعـد أن ختلته عن زوجته وأولاده ... طردته وبعد أن هدمت داراً فيها النعيم، وبعد أن حطمت أسرة فيها السعادة، بعد أن شردت صغاراً فيهم الطهر. فيا لشيطانية المرأة ... ياالشيطانية المرأة ...

كامل محمود حبيب

صراع

مجموعة أقاصيص للاستاذ شاكر خصباك

القصة العراقية لم تشهد النور إلا منذ أمد جد قصير ...

فالمحاولات الأدبية الأولى لإنشاء قصص عراقية كانت تصاب بالإخفاق ، أو تنحرف عن الميدان القصصي الفني فتكون أشبه بالحكايات التي لا تمس الواقع ، ولا يصلها بالفن القصصي سبب الأسباب .

ذلك لأن تلك المحاولات لم تقم على أساس متين من الدراسة والتفهم العميق للفن القصصي ؛ لأن المضطلعين بها لم يكونوا مطلعين على الأدب الغربي ، وغير متفقين ثقافة عامة شاملة .. لأن القصة تحتاج إلى كثير من الخبرة ، والإدراك ، والمعرفة ، وسبر الحياة ، وخوض غمارها ؛ ثم تأتي الموهبة القصصية لتبرز لك الفن القصصي مزيجاً من كل هذه الأمور .

وكان الأدباء العراقيون — قبل أكثر من عشرين سنة — يرون القصة المصرية تشق طريقها في ميدان الإنتاج الأدبي ... وكان هذا اللون الجميل الجديد يدفعهم دفعاً إلى محاكاته ؛ فيحاولون تقليده والسير على منواله ، من غير أن يفقهوا فن القصص ؛ ومن غير دراسة فنية لأصوله .

هذا سبب من أسباب تأخر القصة العراقية ... ويمكننا أن نضيف إليه سبباً آخر وهو ما يتصل بالأحداث والتقلبات التي هزت العراق في الفترة الأخيرة ، وانصراف الناس إلى السياسة وقد كان الشعر مبرزاً في ميدان إيقاد الحماس ، وإيقاظ الهمم ، وإذكاء نيران الوطنية في القلوب

أما القصة فلم يكن ثمة مجال لظهورها لعدم وجود قصصيين يملكون ناصية الفن القصصي بحيث يؤثرون في نفوس الجماهير ويوجهونها نحو الوجهة الوطنية الصحيحة . أضف إلى ذلك عدم استعداد الجمهور لقراءة القصص واستساغتها ، لأن القصة في مثل هذه الأحوال لا تثير ما يثير الشعر

ولكن بعض المحاولات القصصية كانت تظهر بصورة حكايات وأحاديث ... ونحن حين نستثني رائد القصة العراقية الأول المرحوم محمود السيد صديق الأستاذ نيه ورفي الجهاد ، لا نرى إلا محاولات فاشلة القصد منها العبرة والانتباط والإسراف في الخيال .

ثم جاءت بعد ذلك كتابات جعفر الخليلي ، وعبد المجيد لطفي ، أو حكاياتهما على الأصح ، فهذان الأديبان لبعدهما عن تفهم القصة الحديثة ، ولجهلهما الأدب الغربي الحديث ، فشلا في أول عهدهما ولكن بعض الأمل تسلل إلى القلوب عند قراءة نتاجهما في العصر الحاضر ، وهما — بعد كل هذا — مشكوران لأنهما يمثلان مرحلة من مراحل القصة العراقية .

ثم تأتي المرحلة الثانية في قصص شالوم درويش ، وذو النون أيوب ، فقد استطاع هذان القصصيان أن يرقيا بالفن القصصي العراقي درجات ، ويدفعاه إلى الأمام ، فقد أصابا حظاً ليس فيه بأس من الاطلاع على القصص الغربي ، وتفهما العناصر الجوهرية في الفن القصصي ، وكانا يعملهما الحياة ، ولا يشطان في دنيا الرومانسيه .

وجاءت المرحلة الثالثة — وهي دور الشباب . فقد برغ بعض الشبان في سماء القصة ، ومنهم يُرجى الخير ، وعليهم تعقد الآمال ... ولكنه يخيل إلي أن جريرة الصحافة المصرية الصفراء تلاحقنا ونحن في ديارنا ، فتفسد أذواق الشباب ، وتتحكم بنزعات بعضهم ، وتصرفه عن العمل الجدي المنظم ، وعن التفكير الصادق السديد وعن إدراك الأمور إدراكا شاملاً واعيا . . ومما لاشك فيه أن الصحف المصرية تطغى على الأسواق العراقية ، وأن قصصها الداشة النكراء غير الناضجة ذات تأثير على نزعات الشباب . . وأغلب قصاصي المجلات لا يستهلهم الحياة ، ولا يراعي مقاييس الفن ، بل يحتلهم الطبع الفاسد ، ويراعي مقاييس المجلات الجائرة . . .

ولكن شيئاً من الاطمئنان يسري في نفسي عندما أجد بوادر السخط عند الشباب العراقي ، وعند الذين حصنوا أنفسهم بثقافة ومعرفة واسعتين .

والكتاب الذي أعرضه على القارىء الكريم الآن (صراع) لقصصي عراقي شاب لا أكون مغالياً لو قلت إنه خطا خطوة

رائعة موفقة فى مضمار القصة العراقيـة ، وهو على رغم بعض المـآخذ يبرز بين القصة العربية الناجحة عالى الرأس ...

والمؤلف شاب ، له أحلامه ونزعاته ، وميوله ، ونفس متوقدة حساسة ، تستلهم الحياة فيبرز لنا نواحى خافية خير ما يقال فيهـا إنها تقع فى محيطنا ولـكننا نتغاضى عنها ، لاننا نحفل دائماً بالحوادث والفاجئات ، بأقاصيص البطولة والشجاعة ، أما الحوادث الصغيرة الساذجة الغنية بالاحاسيس ، والانفعالات النفسية فإننا نضرب عنها كشحاً ، ولا نميرها أى إلتفات ...

ولـكن الأستاذ شاكر خصباك يدرك تمام الادراك هـذه الحقيقة فى فن الأقاصيص فتراه لايحفل الحوادث والمفاجئات ، بل يخلق من الحوادث الصغيرة الساذجة عملاً فنياً باطار من التحليل النفسى ، وبخلق الجو المشوق الذى يدفعك إلى الاعتراف بأن للكاتب موهبة فنية ، ووعياً تاماً فى جميع الأمور ... وأغلب أقاصيص الأستاذ شاكر حافل بهذا النوع من التحليل النفسى ... وتلك فضيلة أسجلها للمؤلف من غير إجحاف ...

فى الـكتاب « أقاصيص » أول ما يطالبك فيها ، تحليل نفسى موفق ، وجو قصصى كامل ، وموهبة فنية رائعة ، وإذا بتلك الحادثة الصغيرة تحمل إليك ظلالاً من الإحساس ، وحياة عامرة بالمشاعر ، وحركة فى نبض الحس ، وفيض الشعور .

انظر إلى اقصوصة «عذاب» التى أعدها من أروع الأقاصيص العربية تجدها كما قلت لك : حادثة بسيطة ، وتحليلا نفسياً رائعاً وموهبة فنية تنظم الحركة ، وتبعث الحياة ، وتعمق الظلال . .

وخلاصة أقصوصة « عذاب » أن شـاباً كان يتمشى على شاطىء النهر ، مرتدياً بذلة جديدة ، يرى طفلاً يصارع الموج ، على شفا الغرق . . ويحاول الشاب إنقاذ الطفل ، ولـكنه يتردد بين خلع ملابسه الجديدة ، وإنقاذ الطفل الموشك على الغرق ، وبين المضى فى طريقه كأن شيئاً لم يحدث ، وليس ثمة عين تراه . ويتردد الشاب ، ويطيل التردد ، حتى يبتلع النهر الطفل ، وينقطع صراخه . . ويمضى الشاب فى طريقه ، ثم تقوده المصادفة إلى نواح نائحات ، وبكاء باكين ، وسرعان ما يتبين أن النائحات والباكين هؤلاء هم أهل الغريق . . وهناك ينشب الصراع بين ضميره فيعذبه ، وتشقيه الهواجس والظنون حتى يحاول الانتحار .

هـــذا الحادث تصوره ريشة ماهرة فى إلتقاط الصور ، وإكتشاف مواقع الإحساس ، وخلق الصور الإنسانيـة ، والظلال النفسية ، فتخلق لنا أقصوصة من أروع الأقاصيص . .

وهناك أقاصيص بالغة الروعة ، وافرة الحظ من النجاح ، منها « دكتور القرية » وهى صورة كاملة الملامح ، قوية السمات ، فيها سـخرية لاذعة ، وتصوير رائع . ومنها « عجيب » وهى أقصوصة تبرز لك مقدرة الأستاذ شاكر على الخلق القصصى ، وبعث الحركة والحياة بما فيها من انطلاق وعبث الظروف . .

وإلى هنا نقف مع محاسن هذا الكتاب ، فما هى مآخذنا عليه ؟

يبدو لى أن ميل الأستاذ خصباك إلى دراسة المجتمع يغلب فنه القصصى فى بعض الأحايين فتختفى روعة القصة ، وينفرط السلك القصصى ، وتبدو القصة أشبه شىء بتجربة طبيب نفسانى .. ولولا مقدرة الـكاتب على إنشاء الفن القصصى لانهـدم صرح أقاصيصه إنهداما تاماً ..

وكم وددت لو أنقى الأستاذ عن عاتقه ذلك القانون الصارم الذى سنه لنفسه إذن لأنشأ قصصاً رائعة كل الروعة ، ولـكان غير ما هو الآن فى بعض أقاصيصه

فالا جدر بتلك الموهبة القصصية المتوقدة أن تنطلق فى ميدان الحياة من غير قيود ، وتسبح فى أجوائها من غير وازع ، وتلقط الصور من غير تمييز .. وذلك الميل الجارف لدراسة المجتمع يضفى على أشخاص المؤلف بعض الندرة ؛ فأنا لا أنكر أن أشخاصه جميعاً موجودون ؛ ولـكن بعضهم نادر . فالمؤلف يؤمن « بأن العواطف الحبيسة تقود أصحابها إلى الشذوذ الجنسى .. » وتراه ينطق هذا القانون فى لهجة ساذجة أثناء أقصوصة من أقاصيصه وهى « أحلام ضائعة » فأنظر إليه كيف سخر قصته لإقرار هذا القانون أو هذه البديهية : زاهدة فتاة تعيش فى بيئة عراقية محافظة « وفى نطاق من تدابير إحترسها المحافظة ، فلا تفسح لها المجال للاتصال بالعالم الخارجى ، ولا تسمح لها بمباوحة البيت إلا لماماً . « هذه الفتاة فى هذا السجن الناطق تخدع جماعة من الشبان ، واحداً بعد آخر ، وتوهمهم

بأنها تحبهم !! .. وإذا سألت : من أين جاءت هذه الفتاة بهذه الجرأة ؟ . أجابك المؤلف : من الباطنة الحبيسة .. هذا شيء معقول .. ولكن التصريح بهذا أضعف الاقصوصة

و « صراع » و « بداية النهاية » على هذه الشاكلة يحاول المؤلف البرهنة على قانونه . والملاحظ أن بعض الثغرات تبرز في القصة حين يحاول المؤلف الخروج عن الجو القصصي .. ففي « صراع » يعرض علينا المؤلف « فاطمة إمراة متعطشة ، قوية الغريزة الجنسية ، تتعرف بصبي تحاول معه أن تشبع غريزتها الجنسية ولكن والدة الصبي تكشف ذلك فتأتي ثائرة ساخطة ، مزمجرة معربدة .. وفي هذا الجو المكهرب الساخط تسرد فاطمة قصتها محاولة تبرير ذنبها ومسلكها الشائن ، فتبرد عند ذلك الاقصوصة والحق أن منطق الحياة لايقبل ذلك .

وقصة « صراع » لولا هذا الاقحام الأخير لكانت من غير الاقاصيص .. ويخيل إلى أن شغف المؤلف بدارسة المجتمع ، وتبين العلة أفسد عليه الجو القصصي .. فنحن نعرف أن كل علة وراءها مسبب ، ولكن ليست القصة مقالة إجتماعية ، تصف العلاج ، وتشخص سبب الداء .. ولتدع ذكر العبرات لمخيلة القارئ ولتأويله — فالقارئ أولى الناس بمعرفة ذلك ، وإدراكه ..

وخلاصة المطاف أن هذا الكتاب بمحاسنه وبمساوئه — نصر جديد للقصة العراقية ، ومحاولة ناجحة لانشاء قصص عراقية ناجحة في رأي الفن ، وفي رأي الحقيقة ،

غائب طعمة فرمان

احمد حسن الزيات

يقدم

دفاع من البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التذكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة المعروفة ، الأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة الكتابة ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغه من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

تاريخ الادب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد